
روايات مصرية للجيب
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020
37
ما وراء الطبيعة
أسطورة الدُمية

مكتبة

Telegram Network

2020

«المكتبة النصية»

قام بتحويل سلسلة:

(ما وراء الطبيعة)

لـ « د. أحمد خالد توفيق »

إلى صيغة نصية:

(فريق الكتب النادرة)

يزن – المملكة المتحدة


TELEGRAM
NETWORK
TELEGRAM
NETWORK

مقدمة

أمّا وقد انتهينا - ولله الحمد - من (رومانيا)، محتفظين بحياتنا وأطرافنا ودمائنا.. فقد صار بوسعنا أن نبدأ قصة جديدة..

د. (رفعت إسماعيل) الذي يستضيفكم دومًا في هذه الكتيبات، لا يملك الكثير ليقدمه لكم سوى بعض الساعات العصيبة... وما أكثر الساعات العصيبة التي لديَّ من أجلكم!

كنت أنوي أن أحكي لكم قصة (نوسفيراتو)، وقد أعددت الأوراق التي تذكرني بالتفاصيل: لكني - في اللحظة الأخيرة - وجدت أن قصة واحدة عن

مصاصي الدماء تكفي كل خمسة كتيبات.. وأنا ـ كما تعلمون - زاهد في كل ما يثير مالكم أو شعوركم بالتكرار..

ثمة قصة لا بأس بها عن (الطفيلي).. وقصة لا بأس بها عن محركي الأشياء عن بعد.. كما أنّ لدي قصة رهيبة عن طريق مهجور، لا يراه ويمشي فيه سوى المحتارين، تعساء الحظ طبعًا..

المكواة ثقيلة الظل؟ لا بالطبع.. لن أحكي قصتها لأنّها لن تروق لعدد لا بأس به منكم؛ وأنا تاجر كلام يزهو برواج تجارته.. ولا يعرض منها سوى الأفضل...

آه! الدمية! حكاية (هاري شيلدون) الأحمق مع الدمية.. كيف نسيت هذا الأمر؟

ً

إنني أشيخ حقًّا..

كنت قد وعدتكم باستكمال القصة.. وأنا - كالعادة - أبر بوعودي متأخرة جدًّا.. لقد كان هذا الوعد منذ سبعة عشر كتيبًا، وبالتحديد في مارس عام ١٩٩٦

يبدو أن الوقت قد حان لأفي بما عاهدتكم به.. ترى كم سبعة عشر كتيبًا في العمر حتى أنتظر أكثر من هذا؟

ليكن.. اليوم نحكي قصة دمية (الفتيش)..

❋ ❋ ❋

شخصيات الرواية..

د. رفعت إسماعيل: طبيب يهوى الأشياء الغامضة.. في البدء كان يمقتها ثم وجد أنه مضطر لأن يحبّها كي يعيش.. إن القراء يعرفون نحوله وعصبيته وحالته الصحية المريعة، فلا داعي للثرثرة أكثر..

هاري شيلدون: خبير (كمبيوتر) أمريكي الجنسيّة.. في السابعة والثلاثين من العمر.. مندفع جدًا وأخرق؛ ويبدو أن إصراره على استرداد الدمية سيجلب له متاعب لا بأس بها.

لندا شيلدون: زوجة (هاري) الحسناء.. و(هاري) يحبّها كثيرًا، لكنه يؤمن كذلك بتعددية الحب.. وبالمناسبة هي صاحبة الدمية..

الأم مارشا: ساحرة عجوز من (جامايكا)... لها كل مزايا وعيوب أية ساحرة (فودو) أخرى، والحق أن المؤلف عاجز تمامًا عن تصنيفها في خانة الأخيار أو الأشرار..

جابرييل: ابنها الأخرق الغامض قليلًا.. ربما تحبه أحيانًا، لكنّ الثقة فيه عسيرة.. ولا أنصحك بأن تخبره بأسرارك..

ماريانا: فتاة من (بورت ريكو).. حسناء كالعادة.. إن زوجة (هاري) تنتمي لطائفة (الحسناوات المذعورات) أمّا هذه فتنتمي لطائفة (الحسناوات الغامضات) اللواتي يدارين سرًا رهيبًا وهي ساحرة.. لا يوجد أي مجاز ها هنا..

داماسو: عملاق زنجي أحمق.. ويبدو أنه لم يفهم ما هو مقبل عليه جيدًا.

❋ ❋ ❋

- ١ -

تلهاسي في ٢٠ ابريل:

عزيزي (رفعت):

كيف حالك أيها الشيء القديم؟ أرجو أن تكون عاكفًا على هذه السخافات التي تقوم بها، وأن تكون حيًّا على الأقل..

لم ترسل لي أية خطابات ولم نلتق منذ تلك الأمسية الرهيبة مع د. (لوسيفر) يوم اجتمعنا حول أوراق (التاروت).. ويبدو لي أنك عازف حقًّا عن زيارة (الولايات).. أحيانًا أراك تتصرف كالشيوعيين في مقتك لبلدي، ويضايقني هذا.. لكنّ ما من إنسان بلا عيوب، وعيبك هو أنك مخبول يا عزيزي (رفعت)..

لعلك تذكر أنني فارقتك على عزم جاد أن أذهب إلى الأم (مارشا) واسترد من عندها دمية (لندا).. صحيح أنها ستتنكر مرارًا وستزعم أن الدمية ليست عندها، لكنّي - اصارحك - أنفر من هذه المراة ولا أثق بحرف واحد مما تقول[1].

لقد تعاملت مع القصة كلها بحذر ليس من عاداتي.. وقمت بما نصحني به د. (توسيفر) ذلك العراف الغامض: دعوت (جابرييل) إلى كأس من الشراب ثم - دون أن يلاحظ - وضعت الكأس في كيس من الورق، وحملته إلى أحد أصدقاني في دائرة الشرطة، وطلبت منه أن يقوم بخدمة صغيرة لي؛ هي أن يتحقق من البصمات

على الكأس ويقارنها بالبصمات التي وجدوها على خزانتي المسروقة..
ماذا تتوقع؟
كما قال (لوسيفر) بالضبط.. إن (جابرييل) هو سارق الخزانة و- بالطبع - سارق الدمية.. لقد تحقق أول جزء من نبوءته، ويبدو أنها ستكتمل قريبًا..
إن (جابرييل) وأمه يكذبان عليّ.. يلعبان بي.. ومعنى الكذب واللعب أنّ هناك شيئًا ما ليس على ما يرام.. وأن نية شريرة تبيت ضدى وضدّ زوجتي السبب لا يعلمه إلا الله...
لقد قررت أن أسترد الدمية بأي ثمن...
أعرف ما ستقول أيها المتراخي العجوز: تعقل.. افعل ولكن بحرص.. إلى آخر هذا

الأسلوب السخيف الذي تحاول قتل حماسي به..

لكني قد بدأت بالفعل، وربما تصلك أخبار مهمّة في الخطاب التالي لي.. لكني انتظر مقترحاتك وآراءك التي تكون غالبًا صائبة، ربما لأن لك حكمة السلاحف وعمق تفكيرها.

بانتظار خطاب عاجل منك.

بإخلاص: هاري

* * *

القاهرة في ٣ مارس...

عزيزي هاري:

سرني أن أعرف من خطابك أنك حي ومتحمس كعهدي بك.. تتحمس لكل ولأي شيء في أي وقت..

أعرف أن كلامي سيصلك متأخرًا جدًا ولن يقدم أو يؤخر شيئًا، لكني اكرر نصيحتي الدائمة: تعقل.. افعل ولكن بحرص..

لماذا لم تستعن بالشرطة ما دام (جابرييل) هو من سرق خزانتك؟ ربما لأنك تخشى انتقامًا أو العبث بالدمية..

إن دليلك قوي لا يدحض.. لكني ما زلت لا أفهم سبب ما فعله.. إن الكلام الذي قاله د. (لوسيفر) عن دمية الدم وتحول الأم (مارشا) إلى حسناء شقراء مثل (لندا)، أمر

غير مستساغ على الإطلاق، ويمكن القول إنني لا أصدقه البتة..

كل ما قاله (لوسيفر) كان هراء.. ومن جديد نعرف أن أحدًا لا يمكنه التنبؤ بالغيب.. ربما كان قادرًا على قراءة الأفكار - أتحدث عن (لوسيفر) - وهذا شيء أعترف به له لكنه عاجز تمامًا عن رؤية الغد..

آذن لا معنى للذعر هنا..

القصة - حتى الآن - لا تزيد على كون واحد من معارفك قد سرق خزانتك، وهو أمر يحدث كثيرًا ولا يثير القلق الميتافيزيقي..

لهذا يمكن أن نلخص الموقف في بضعة أسئلة:

١ - (جابرييل) هو سارق الخزانة.. فلم فعلها؟

٢ ـ كان يريد الدمية.. فلم يريدها؟

٣ - كان يعرف أنك ستقصده وأمه.. فلم أراد ذلك؟

٤ ـ أراده للحصول على قطرات من دمك.. فما الغرض؟

٥ ـ ماذا يستطيع ساحر (الفودو) أن يفعل بدمية وقطرات دم؟

هذه هي الأسئلة..

وأتمنى أن تحاول الرد عليها بشكل منظم، بدلًا من ممارسة هوايتك في الصراخ العصبي وركل الأبواب وتوجيه اللكمات وجذب الناس من ياقات قمصانهم...

أما عما تقوله عن رأيي في أمريكا؛ فأنا أحب الأمريكيين فرادى لكني أمقتهم سياسة! كل أمريكي ظريف ودود حين تعرفه على حده.. لكنّ حين يجتمع ثلاثة أمريكيين تكون عندنا (فيتنام) و(فلسطين) وما إلى ذلك، وعلى كل حال ليس الوقت مناسبًا لهذا النقاش..

اكتب لي سريعًا جدًا..

المخلص: رفعت إسماعيل

* * *

تلهاسي في ١٠ مارس:

عزيزي (رفعت):

عندما كتبت لي خطابك السابق: كنت بالفعل قد زرت الأم (مارشا) في شقتها التي تقيم بها في حي فقير بالمدينة..

أنت تذكر شقتها - أو كوخها - في (كنجزتن).. حسن... لقد حولت العجوز شقتها هنا إلى نسخة أخرى من ذلك الكوخ، فما إن تدخل حتى تشم رائحة البخور الخانقة، وتسمع صوت جهاز التسجيل يبعث بموسيقا إفريقية تذكرك بأناشيد (الزولو) في السينما.. على الحائط رمح أو رمحان متقاطعان، وجلود نمور، وقناع إفريقي زاهي الألوان.

أما العجوز فهي كما تذكرها بالضبط.. شاخت أكثر، لكنّها ازدادت حيوية لو لم يكن في كلامي تناقض ما.. جالسة تدخن

السيجار الكوبي قاتل الرائحة إياه، وتعابث أوراق (التاروت) بأظفارها المخلبية المصبوغة بالأسود.. وقد أضافت إلى قبحها قبحًا ببعض علامات الوشم على خديها، وقرطين عملاقين يذكراني بإطارات الشاحنات في أذنيها..

كانت الشقة ملأى بالشباب المهاجر من (الكاريبي) - تعرف أننا نسميهم (سبيكس) - بشعورهم الطويلة التي تم تضفيرها مئات الضفائر الصغيرة، وقمصانهم الزاهية اللون، وعلامات إدمان المخدرات أو الاتجار بها على وجوههم، دعك من عدائيتهم الواضحة للأمريكي أبيض نظيف الثياب بينهم.. وقد ناداني أكثر من واحد منهم بـ (أيها الفتى الجميل) وهي تحمل طابعًا واضحًا من السخرية والاستهانة.. كأنني لست كامل الرجولة مثلهم...

هذا هو ما يسمّونه بـ (العنصرية المضادة).. فنحن أسأنا معاملة السود كثيرًا، لهذا هم اليوم يتفاخرون بلون



جالسة تدخن السيجار الكوبى قاتل الرائحة إياه ، وتعابث أوراق (التاروت) بأظفارها المخلبية المصبوغة بالأسود . .

بشرتهم ويحتقرون كل ما هو أبيض باعتباره قذرًا ناعمًا شاحبًا أكثر من اللازم...

لكنني أدركت أن هؤلاء القوم يحترمون الأم (مارشا) كثيرًا، ويجلونها باعتبارها الأم الروحية لكل واحد منهم.. لم يكن من الممكن في هذه الظروف أن أعاملها بغلظة وإلا لمزقوني إربًا...

دعتني المرأة للجلوس، وجرعت جرعة هائلة من الزجاجة التي تضعها دومًا جوارها، وسألتني عن (لندا) فقلت لها إنها بخير..

ثم سألتها عن دمية (الفتيش) إياها، فقالت بصوتها الرفيع الغريب:

- «الدمية عند من سرقها أيها الأشقر..»

ابتلعت عبارة (ابنك هو سارقها أيتها الشمطاء)، وقلت:

- «كنت آمل أن يساعدنا سحرك على استردادها..»

- «لست بهذه القوة أبدًا.. لكنّ لماذا تبحث عن شيء لم يعد له خطر؟ إنني أضمن لك هذا..»

- «ما زلت غير مستريح..»

- «وأنا غير قادرة على تقديم عون أكبر..»

قالتها في لهجة حازمة ذكرتني بمدير مركز الحاسبات الآلية حين يرفض طلبي للحصول على علاوة..

قررت أن أكشف ورقي أكثر، فسألتها:

- «هل سمعت عن (دمية الدم)؟»

تبادلت ـ بعينها الصفراء ـ نظرة مع أحد الواقفين حولها، ثم قالت بحذر:

ـ «دمية الدم - يد المجد ـ الكوفيد.. كلها أشياء من تراثنا.. لكنني لا أمارس (دمية الدم) على كل حال لو كان هذا ما تعنيه..»

لكنّ لا بد أن رسالتي وصلتها كاملة غير منقوصة: أنا أشك فيها.. فكرت حينًا ثم قالت وهي تمتص سيجارها في جشع:

ـ «أنا بطبعي لا أثرثر.. لكنّ خطرًا داهمًا يترصد بك وبأسرتك أيها الأشقر.. خطرًا يبدأ بالدمية ولا ينتهي بها!»

* * *

- ٢ -

(بقية خطاب هاري)...

... قلت لها في عصبية، وقد بدأت الفرامل المتحكمة في روحي تتلف:

ـ «ما معنى هذا الكلام؟»

ـ «معناه: إذا تناولت عشاءك مع الشيطان، فلتأت معك بملعقة طويلة!»

ازددت عصبية، وصارت نبرتي عدائية تمامًا حتى إن الشباب المحيطين بها توتروا وغدت نظراتهم لي هجومية صريحة...

قلت:

ـ «كل هذا جميل.. لكنّها ـ كالعادة ـ تلك النبوءات الشعرية التي لا يمكن فهمها أو النجاة من محتواها.. هلا أوضحت أكثر؟»

فلمّا لم ترد عدت أسألها بصوت متهدج:

- «أين (جابرييل) على الأقل؟»

- «قد سافر أمس إلى (كنجزتن).. لو أردت اللحاق به هناك فستجد أنه لا يعرف الكثير..»

نظرت لها وإلى الجالسين والواقفين، وابتلعت خواطري السامة، ونهضت دون أن أحييها أو أشكرها.. لم أجرؤ على تهديدها لا لأنني خائف من (السبيكس) الواقفين حولها، ولكن لأنني لا أضمن ما قد يحدث للدمية إذا غضبت هذه المرأة.. إنها تملك الكثير في جعبتها كما هو واضح..

ومن هذا يتضح لنا ما يلي:

ـ نحن محقان بصدد وجود خطر يتهدد (لندا)..

ـ الدمية مع الأم (مارشا) هنا أو مع (جابرييل) في (كنجزتن)...

ـ من المستحيل الضغط على العجوز.. فهي لا تنوي الكلام على كل حال.

ـ هناك من سيتناول عشاءه مع الشيطان، ويبدو أنّ هذا الأحمق هو أنا.

ما رأيك يا (رفعت)؟ وبم تنصحني؟

بإخلاص: هاري شيلدون

* * *

ملحوظة ليست في الخطابات: سيلاحظ القارئ أن ردودي متأخرة جدًّا تصل

(هاري) لتنصحه بعمل اشياء فات أوانها، وتجنب اشياء وقع فيها بالفعل.. فلو كنا نعرف البريد الإلكتروني وقتها لتمت الأحداث بصورة سريعة تدير الرءوس.. لكنّ كان هذا قدرنا..

❋ ❋ ❋

القاهرة في ٢٠ مارس:

عزيزي (هاري):

هأنذا تعيدني إلى عادة نسيتها تمامًا، ونسيت أن البشر يمارسونها حتى اليوم: عادة كتابة الخطابات بانتظام.. إن المراسلة لذة يعقبها ندم ككل الآثام الأخرى: لذة تلقي الخطاب المغلق بأختامه وطابع الولايات

المتحدة الأنيق عليه.. ثم الرائحة! ليتهم يصنعون عطرًا له رائحة الخطابات المغلقة... لقد فاتهم هذا حقًّا..

بعد هذا يبدأ الندم والشعور بالحسرة... إن عليك الرد على هذا الخطاب! ويتحول الأمر إلى كابوس مقيم، هم بالليل ومذلة بالنهار.. دعك من اللحظة الكريهة حين تدخل فر اشك لتتذكر في الظلام أنك لم ترد على الخطاب بعد.. تبًا! دعنا من هذا..

لقد أمضيت الوقت - حتى وصلني خطابك ـ في قراءة كتاب (الغصن الذهبي) لـ (فريزر).. وكنت أبحث عن كل ما يمكن قراءته عن الدمى المسحورة أو (الفتيش)..

يقول (فريزر) إن هناك في تاريخ البشريّة نوعين من السحر:

السحر بالاقتران.. وفيه يرمز الجزء إلى الكل.. فقصاصة ملابس أو خصلة شعر تغني عن الشخص كله..

أما السحر بالتقليد فيقوم على اصطناع دمية تشبه الشخص المراد سحره، ويقوم الساحر بوخزها بالإبر مرارًا، أو يحرقها على النار سبع ليالي متواصلة حرقًا غير كامل.. وفي الليلة الثامنة يلقيها في اللهب فيموت الشخص المقصود..

على أن نوعي السحر يمتزجان أحيانًا كما في (الملايو)، وكما شاهدنا في (جامايكا)؛ حيث يتم استعمال دمية بها شعر رأس الشخص المراد التخلص منه..

لقد ظل هذا الأسلوب السحري - ونحن لم نعد مع (فريزر) هنا - سائدًا في الوجدان

الجمعي البشري منذ عهد الفراعنة حتى اليوم.

وفي (طيبة) القديمة كانوا يساعدون (رع) - الشمس - على البزوغ، عن طريق صنع دمية شمعية لعدوه التمساح (أبيب) يطعنها الكاهن بمدية ثم يلقيها في النار.. وقد ساد استعمال التماثيل الشمعية في فرنسا في القرن السادس عشر مع المنجم (كوزموروجيري)، ويقال إنّه صنع تمثالًا لـ (شارل التاسع) وأذابه في النار فمات الملك بعدها بيوم (كان هذا عام ١٥٧٤)..

وثمة قصص مماثلة من انجلترا لا يتسع المجال لذكرها.. فكلها تتشابه على كل حال..

لقد كان صنع التماثيل الشمعية مبررًا كافيًا لحرق صانعها بتهمة السحر، وهذا على فترات طويلة من التاريخ..

والسؤال الآن: هل يستطيع سحرة (الفودو) ممارسة أسلوب الدمى بشكل ناجح؟

لقد رأينا جزءًا من هذا النجاح حين قامت (لندا) - عن إهمال - بترك دميتها مع (جيمي) الصغير، وقد حاول هذا الأخير انتزاع ذراع الدمية فأحست (لندا) كان هناك من يمزق ذراعها..

إن سحرة (الفودو) لا يمزحون...

ولقد قرأت بعض الشيء عن تاريخ عقيدة (الفودو)، فعرفت أنهم يمثلون المذهب (الودوني)، وهو مذهب وثني كان سائدًا

في غرب إفريقيا:. فلمّا جلب الأبيض معه الرقيق إلى الولايات المتحدة: جلب معهم عقيدتهم الدينية التي تمتزج اليوم بالكاثوليكية في مزيج غريب لا يمكن أن نجده إلا في (الأنتيل).. وهو نفس المزيج الغريب الذي نجده لدى (السيخ) في الهند حين مزجوا الإسلام بالهندوسية..

هكذا انتشر رقيق غرب إفريقيا في جزر (الأنتيل)، وكان أكثرهم ممن يتحدثون باللغة (اليوروبية)[2]...

ومن المبالغة أن نقول إن كل سحرة (الفودو) أشرار فجرة.. فمنهم عدد لا بأس به يمارسون السحر لاتقاء شروره لا أكثر..

أما الأشرار منهم - وهذا ما يُقال - فيهوون ممارسة إحياء (الزومبي).. ولو أحب الساحر الشرير فتاة وأبت أن تكون له، فإنّه يسحرها بتعاويذه حتى تتحول إلى (زومبي) خاضع له..

وكذا يهوى بعض هؤلاء السحرة صنع زومبيين يعملون في أرضهم دون أجر..

والآن نعود لمشكلتك التي تبغي رأيي بصددها..

أنت تعرف أنه لا يفل الحديد إلا الحديد.. ولا يمكن القبض على لص إلا بمعونة لص.. لهذا أرى أن تلجأ إلى معونة واحد ممن يفهمون هذه السخافات.. ماذا عن (سام كولبي) النصاب اليهودي إياه؟ أعتقد أنه غادر مصحة الأمراض العقليّة بعد

محاولة اغتيال أسرة المذءوبين بأسرها.. لماذا لا تحاول الاتصال به؟ هو - كالعادة - سيتظاهر بأنه يعرف كل شيء وخبير في الموضوع.. لكنك ستنجح في معرفة الشيء الوحيد المهم في كلامه: من الذي يفهم في هذه الأمور حقًّا؟

المخلص: رفعت إسماعيل

* * *

تلهاسي في ١٣ مارس:

عزيزي رفعت:

لم أستطع الانتظار حتى أتلقى ردك على خطابي السابق - بتاريخ ١٠ مارس - كي أكتب لك ما استجد في القصة..

لقد خطر لي خاطر مهم.. من العسير القبض على لص إلا بمعونة لص.. وكان أول من فكرت فيه هو ذلك النصاب اليهودي (سام كولبي) ذو البروستاتا المتضخمة.. لم لا؟ هو لن يملك الحل، لكنه يعرف من يملك الحل... ثم إنّه ـ حتمًا ـ قد غادر المصحة العقليّة بعد محاولته اغتيال أفراد أسرة (هالبروك)...

أراك تهز رأسك قائلًا: يا لك من أبله يا (هاري)! لكن قل لي بربك ماذا بوسعي أن أفعل وقد أحالت الدمية اللعينة حياتي جحيمًا؟ وهكذا بحثت عن اسمه، وأجريت بعض اتصالات حتى وجدت، رقم هاتفه في (نيويورك)..

طبعا لم يتذكر من أنا.. وحتّى حين قلت له إنني صاحبك لم يبذ متذكرًا لك أصلًا.. الشيء الوحيد الذي تذكره هو شكل ورائحة الدولارات حين قلت له إنني راغب في استشارة عاجلة..

حسن.. لن أطيل عليك.. لقد حكيت له كل هذا السخف... دمية صنعها سحرة (الفودو) لزوجتي.. سارق الدمية ينكر.. إلخ.. لقد تذكر الأمر تدريجيًا.. فهو كان جالسًا معنا حين كان د.(لوسيفر) يقرأ طالع، وعلى ما أذكر لم يذهب لدورة المياه قط (بسبب البروستاتا كما تعلمون)..

قال لي بصوته المميز العجيب:

- «.. إنك في مأزق يا صديقي.. فحين يكذب ساحر (الفودو) عليك يكون هذا

الغرض مخيف في نفسه..»

- «كل هذا جميل.. لكني أتوقع نصحًا ما..»

- «للأسف أنا أمارس السحر العادي.. سحر الرجل الأبيض.. لا أفهم كثيرًا عن العقائد الودونية هذه.. لكنني أستطيع معاونتك بأن أخبرك باسم ساحر (فودو) لا بأس به..».

- «هذا هو ما أتوق إليه..وأتوقع - بالضرورة - أنه ليس نصابًا كالآخرين..»

طبقًا لم يفهم هذا التلميح.. فأنا أعتبره من (الآخرين).. وقال لي وهو يحرك بعض الأوراق قرب السماعة مما جعلني أدرك أنه يقلب صفحات مفكرة ما:

- «لنر.. (ماريانا بوجادو)..»

ـ «امرأة أخرى؟ ومن أين هي؟»
- «إنها من (بورت ريكو).. وهي زميله قديمة في المهنة، جاءت إلى الولايات منذ خمسة أعوام.. تقيم في (نيويورك) ويحبّها أهل (الكاريبي) المهاجرين هنا كثيرًا.. يقولون إنها ساحرة شكلًا وموضوعًا.. قل لها إنك من طرفي....»
وأملاني رقم هاتفها فكتبته، وشكرته كثيرًا..
إن المكالمات الهاتفية توشك على إنهاء مدخراتي القليلة، لكني تحاملت لإجراء المكالمة الأخيرة..
سمعت جرس الهاتف يدق طويلًا، ثم سمعت صوتًا ساحرًا يسأل عن المتكلم.. إنها (ماريانا)..

صوت يختلف كثيرًا عن صوت غطاء التابوت الخاص بالأم (مارشا).. فيه رقة وعذوبة مع لكنة أسبانية لاتخطئها الأذن..

- «أنا (هاري شيلدون)..»

ضحكت في دلال ضحكة كتغريد البلابل، وقالت:

- «نعم.. نعم.. أعرف يا مستر (شيلدون).. والأمر يتعلق بالدمية طبعًا.. لماذا لا تركب أول طائرة إلى (نيويورك) كي نعالج المشكلة معًا؟»

هنا سقط قلبي في أسفل بطني..

كيف عرفت؟ لقد أنهيت مكالمتي مع (كولبي) منذ ثلاث دقائق فمن المستحيل أن يكون قد اتصل بها بهذه السرعة..

إنها تعرف كل شيء..

هذه المرأة تعرف كل شيء...

❋ ❋ ❋

- ٣ -

(.. ومازلنا مع خطاب (هاري)..)

ولهذا يا (رفعت) تجدني أحزم حقائبي، وأستعد للطيران إلى (نيويورك).. لن يصلني ردك على خطابي السابق إذن، لكني أرجو أن تراسلني في (نيويورك) على العنوان التالي:..........

بالطبع اصطحبت معي (لندا) و(جيمي).. فمن الحمق تركهما وحيدين في (فلوريدا) على بعد مرمى حجر من (الأنتيل) بكل ما فيه من (فودو) و(زومبي) ودمى وهياكل عظمية وأمهات (مارشا).. سألقى (ماريانا) هذه.. ولعلها تنهي دوامة القلق التي أعيشها.

بإخلاص: هاري شيلدون

* * *

القاهرة في ٢٣ مارس:

عزيزي (هاري):

خطابان في أربعة أيام! هذا يفوق أي معدل عرفته الكتابة الخطابات.. والسبب هو سيل الخطابات الذي تحاصرني به..

وصلني خطابك الثاني اليوم، ووجدت أنك - كالعادة - فعلت ما نصحتك به قبل أن تعرف ما هو..

لا أحب كثيرًا ما بدأت تتنزلق إليه من تورط مع المشعوذين، لكني أفهم قلقك على أسرتك.. أفهمه وأقدّره...

لكن لا تنبهر بـ (ماريانا) هذه كثيرًا.. إن (كولبي) نصاب لا يعرف سوى النصابين، ومن أدراك أنها لم تكن جالسة معه تصغي لمكالمتك في أثناء حديثك؟ من أدراك أنه لم يجر معها مكالمة سريعة قبل اتصالك يشرح لها مشكلتك؟ هذا ليس عسيرًا ويؤدية المشعوذون في ريفنا المصري ببراعة لا مثيل لها، وحين تدخل (المريضة) إلى المشعوذ تكتشف ـ في دهشة ـ أنه يعرف اسمها ومشكلتها وربما اسم خالتها أيضًا...

لن أطيل عليك..

أرسل لي خطابات عديدة دون انتظار رد مني.. فأنت من يقود العربة لا أنا.. ودوري لا يزيد على الانفعال والحماس؛

فلا تضيع الوقت بانتظار (جودو الذي لا يجيء).
المخلص: رفعت إسماعيل

* * *

نيويورك في ٥ ابريل:
عزيزي (رفعت):
بناء على موعد هاتفي، استقللت سيارة أجرة مع (جيمي) و(لندا) لنلقى ساحرة (الفودو) الجديدة هذه، وهي تعيش في (بارك أفينيو) على بعد مرمى حجر من الشقة التي حضرنا فيها الحفل إياه مع (سام كولبي).. فكأن (بارك أفينيو) هو حي السحرة في المدينة...

قالت (لندا) وهي ترمق البناية:
- «لا تبدو لي مسكونة بالأشباح على كل حال..»
وسألني (جيمي) في حماس:
- «بابا.. هل يحتفظون بمصاصي دماء في القبو؟»
قلت وأنا أنقد سائق السيارة ماله:
- «أرجو ألا يكون هذا صحيحًا والا كنا في مشكلة حقيقيّة..»
وغادرنا السيارة نتشمم الهواء البارد الغريب المميز لليل (نيويورك).. إن شقق السحرة ليست بالمكان الذي يصطحب المرء أسرته إليه لكنّ الظروف كانت غير عادية كما تعلم..

ما إن دخلنا حتى وجدنا شقّة فسيحة تفوح في هوائها رائحة عطر شديدة الجاذبية، وعلى الجدران لوحات فنية حديثة أكثرها للفنان (أندي وارهول) ملك (البوب آرت) الذي تخصص في الطباعة بالشبكة الحريرية.. إن مزاجهم السحري عصري حقًّا هنا..

كان هناك جهاز (ستريو) يذيع أغاني اسبانية، وسكرتيرة شقراء تتصفح مجلة نسائية، فما إن رأتنا حتى تهلل وجهها وسألتنا عما إذا كان هناك موعد فأجبت أن نعم..

كان الخاطر المزعج الذي يؤرقني هو: هذه الفخامة والسكرتارية إلخ... كل هذا له

ثمن.. والثمن يدفعه الحمقى حين تصلهم الفاتورة..

جاءت السكرتيرة تدعونا للدخول إلى غرفة الكاهنة العظمى. فتبعناها إلى قاعة فسيحة تملؤها إضاءة زرقاء باردة كأنها ضوء القمر..

ورائحة العطر تتزايد حتى أدركت أنّ هذا مصدره.. كنت قد وصلت إلى قراري النهائي.. (ماريانا بوجادو) نصابة تحاول خلق جو من الإبهار حولها.. مع الام (مارشا) تشعر بجو عملي جاد - لو كنت تفهم ما أعنيه - يوحي بالثقة.. ليس حول المرأة إلا كل ما هو ضروري أو مفيد لها.. لكنّ مع (ماريانا) هذه تشعر بجو حواة السيرك ونزعتهم الاستعراضية..

راحت عيناي تمسحان نباتات الظل.. غابة من نباتات الظل تحيط بالمكان، على حين تتناثر على الأرض مجموعة من الطنافس.. وعلى الجدران بعض الأقنعة الإفريقية القميئة إياها..

كانت (ماريانا) جالسة القرفصاء فوق وسادة ما، أمامها ـ كالعادة ـ بللورة سحرية هائلة الحجم، ومبخرة تطلق عبقًا غامضًا في المكان.. وجوارها شيء يشبه النافورة الصناعية تتدفق المياه - بلا توقف.. من فم سمكة قرش متلوية في أعلاها، التتدحرج فوق عرائس البحر، ثم تتجمع لتكرر دورتها من جديد...

- «اجلسوا يا أصدقاء..»

قالتها بصوتها الأملس الرقراق فجلسنا حولها، وكان أكثرنا حماسًا هو (جيمي) العزيز الذي راق له كل هذا.. إنّه يرى كل هذه الأمور في التلفزيون وسره أن يراها على الطبيعة، والملاحظ أن إفزاع أطفال اليوم صار مسستحيلًا.. كلما زاد كم الرعب كلما ازدادوا حماسًا وسرورًا..

جاء دور (ماريانا) في الوصف..

حسن.. لقد كانت ساحرة.. ساحرة في كل شيء.. وكان لها ذلك الجمال الباهر الذي كانوا يحرقون النساء بتهمة السحر من أجنه في (ماساتشوسيتس).. كانت سمراء ككل شعوب (الكاريبي) لكنّها مخلوقة



كانت (ماريانا) جالسة القرفصاء فوق وسادة ما ، أمامها - كالعادة - بللورة سحرية هائلة الحجم ومبخرة تطلق عبقًا غامضًا فى المكان

فاتنة.. لا يوجد ما أقونه أكثر.. يجب أن تراها لتفهم..

كلا.. لم تكن ترتدي ثيابًا خليعة وترقص حول النار، ولم تكن ترتدى جلد نمر وتلوح برمح.. كانت فتاة جميلة في الخامسة والعشرين من عمرها، ترتدي تايورًا أسود محتشم، وتجلس متربعة بأناقة القط فوق وسادة، وتأكيدًا للصورة كان ينعس جوارها قط إيراني ضخم..

كان أول ما قلته عمليًا جدًّا:

- «ماذا عن الأتعاب؟»

ابتسمت فالتمعت عيناها الزرقاوان سرورًا، وقالت:

- «انت لا تترك لي فرصة للترحيب بكم يا مستر (شيلدون).. إن الأمر هين على

كل حال.. ولن نختلف..»

- «أرجو ألا أضايقك، لكني سمعت هذه الكلمة من ميكانيكي سيارتي ومن السباك ومن الطبيب مرارًا.. وفي كلّ مرّة يتضح لي أن الأمر لم يكن هينًا قط وأنني أحمق.. لهذا تجدينني أصر على إيضاح نقطة كهذه قبل البدء في شيء..»

التمعت عيناها الزرقاوان أكثر فأكثر في وجهها الأسمر، وقالت بنفس النبرة العذبة الرقراقة:

- «أحتاج إلى قطرات من دمك تمنحها بكامل إرادتك!»

.........!

* * *

- ٤ -

(ما زلنا مع (هاري) كما تعلمون..)

كان هذا أكثر مما يمكن احتماله يا (رفعت)، وأعتقد أنك موافق على ذلك.. لا أدري السبب، لكنّ دمي صار سلعة مرغوبة جدًا في هذه الأيام.. كل سحرة (الفودو) يرغبون فيه..

نهضت في عصبية كما لك أن تتوقع، وصحت:

- «يبدو لي أنني وقعت في دعابة سخيفة.. إنني....»

في شمم هزت رأسها لتزيح شعرها الأسود المجعد عن عينها اليسرى، ورفعت ذراعًا آمرة:

- «أجلس من فضلك!»
كدت أواصل المشي للباب، لكنّها كررت تحذيرها:
- «لو غادرت هذا الباب فلن تعود إليه!»
بدأ التردد يراودني أمام كل هذه الثقة، وعدت لها وتبادلت نظرة حيرى مع (لندا)، ثم قلت:
- «بالطبع لن تفسري لي سبب حاجتك إلى دمي، باعتبار هذا ليس من شأني؟»
- «أنت محق.. إن الفضول عادة مقيتة حقًّا..»
ثم اردفت وهي تعود لاسترخائها:
- «أعلم أن لك تجربة سابقة في هذا الصدد.. لكن (ماريانا) تحتاج إلى الدم لأسباب تختلف عن أسباب الأم (مارشا)..

يجب أن تثق بهذا وأن تمنحني ما أريد في تسليم.. إن التصديق في الطبيب يمثل ثلاثة أرباع العلاج..»

تنهدت.. وقلت لها:

- «أنا موافق..»

صاحت (لندا) في احتجاج، لكني كنت قد اتخذت قراري.. خذوا دمي كله يا مصاصي الدماء واتركوا زوجتي وابني سالمين..

وهكذا تكرر المشهد السابق بحذافيره.. الكأس.. نصل السكين.. الجرح في كفي.. ثم قطرات الدم تنساب في الكأس.. لكنّها في هذه المرّة ضمدت جرحي بشريط لاصق طبي بعد تنظيفه بمادة مطهرة، وهو

ما يختلف عن أسلوب الأم (مارشا) القديم: الكتان المغموس بالزيت..

ثم إنها قالت لي وهي تضع الكأس على المنضدة وتعود لجلستها:

- «هانذا قد دفعت الثمن مقدمًا.. وهو ما يدل على ثقة بالغة في شخصي المتواضع، فما من مشتر يدفع ثمن شيء قد حصل عليه فعلًا.. وما من بائع يمنحك شيئًا دفعت ثمنه فعلًا...»

ثم نهضت برشاقة، وخطت فوق القط النائم.. متجهة إلى خزانة في الجدار لم الحظ وجودها قبل هذه اللحظة، وراحت تبحث عن شيء ما.. في ذات اللحظة شعرت ب(لندا) تجذب كمي بعصبية هامسة:

- «البللورة! أنظر إلى البللورة!»
نظرت إلى البللورة السحرية العملاقة على الأرض أمامنا، وكانت تعكس صورة مشبوهة للقاعة من ورائها.. تعرف هذه الصور شديدة الزيغ التي تراها عبر المنشورات والعدسات.. لكنّ القاعة كما بدت في البللورة كانت تختلف كثيرًا عما نراه بعيوننا.. كانت القاعة حمراء تمامًا، وكانت (ماريانا) التي أعطتنا ظهرها وهي تنقب في الخزانة، ذات لون أخضر تمامًا.. وخيل لي كأن ذيلًا يتدلى من مؤخرتها!
نظرت إلى (لندا) نظرة ذات معنى، وقلت مقاومًا شعور بالغثيان:
- «خداع بصر! كل هذا خداع بصر!»
ثم بصوت عالٍ سألت الساحرة الحسناء:

- «هل تستعملين هذه البللورة أحيانًا؟»
قالت دون أن تنظر لي:
- «بل دائمًا.. إن لاستعمالها عدة مستويات.. أحيانا أرى فيها الغد، وأحيانًا أرى فيها الأشخاص الغائبين.. وأحيانًا أستعملها كجهاز أشعة يريني حقيقة الجالس أمامي!»
جهاز أشعة! هل هذه حقيقتك إذن يا (ماريانا) الحسناء؟ هل أنا مستجير بالرمضاء من النار؟
عادت لنا وهي تحمل صينية فضية عليها عدة أشياء.. ويبدو أنها لاحظت امتقاع وجهينا، فقالت وهي تتربع على وسادتها:
- «لا تصدقا البللورة دائمًا.. فهي تكذب على الغرباء!»

ربما البللورة تكذب.. ترى هل تكذبين كذلك يا (ماريانا)؟ لكنّ موضوع البللورة هذا بعث بعض الراحة في نفسي.. إن هناك أمورًا غامضة رهيبة ها هنا.. فلربما ليست (ماريانا) نصابة برغم كل شيء..

تناولت (ماريانا) من الصينية دمية خشبية سوداء اللون.. يبدو أنها صنعت من الأبنوس، ورفعتها أمام عيوننا.. ثم قالت:

- «ها هي ذي دمية تصلح..»

وبيد رشيقة قامت بتثبيت خرقة صغيرة على رأس الدمية، وما يشبه القرطين الصغيرين في أذنيها، ثم ألبستها ثوبًا زاهي الألوان.

- «مثل (باربي)!»

كان هذا صوت (جيمي) الصغير الذي كاد يموت استمتاعًا بما يحدث، والحق أنه دقيق في كلامه... فالأمر كله يذكرني بالألعاب التي تمارسها البنات مع الدمى.. ما هو المقصود من هذا كله؟

ثم تناولت (ماريانا) قطعة من الورق المقوى، ثبتت عليها خصلة من الشعر الأشيب، بقطعتين من شريط لاصق.. وقالت:

- «شعر من هذا؟»

صحت وقد بدأت أفهم.

- «لا تقولي إنّه شعر الأم (مارشا)!»

- «هو بعينه!»

- «وكيف حصلت عليه؟»

قالت في بساطة وهي تنتزع الشريط اللاصق:

ـ «بكثير من العسر طبعًا لأن ساحرات (الفودو) لا يقصصن شعورهن أبدًا.. لكني كنت حريصة على اقتناء أكبر مجموعة من شعور وأظفار كل من أتوقع أن أحتاج إلى إيذائهم.. لديَّ هنا عينات من ثلاثمائة شخص، وقد حصلت على خصلات الشعر هذه بالبريد من (كنجزتن) بعدما دفعت مبلغًا باهضًا، وهأنذا استعملها أخيرًا!»

ثم شرحت لي أن السحر عمل إيجابي هجومي.. أما (التابو) فعمل سلبي دفاعي.. الساحر يريد الشعر ليمارس عمله.. لذا تحتم تقاليد (التابو) أن يحرص المرء على

عدم قص شعره أو أظافره، فإن فعل فعليه التأكد من التخلص من فضلاته هذه..

إن السيدات العجائز في كل مكان بالعالم - وحتّى في (مصر) عندكم - لا زلن يحرصن على التخلص من الأظفار والشعر في المرحاض.. ليس هذا سوى إحياء لمعتقد (التابو) العتيق الذي تجده بوضوح لدى القبائل البدائيّة..

الخلاصة: هي أن الحصول على خصلة شعر من الأم (مارشا) لمعجزة..

وهنا يجئ السؤال المنطقي:

- «إذن أنت تصنعين تمثالًا للأم (مارشا)؟»

- «بالتأكيد..»

تقولها وهي تلف خصلة الشعر حول رأس الدمية.. فسألتها:

- «تريدين إيذاءها؟»

- «طبعًا.. بل وقتلها..»

- «والسبب؟».

- «كي لا تؤذي أو تقتل زوجتك.. أليس هذا ما تريد؟»

ابتلعت ريقي، وبدا لي هذا الحل جذريًا أكثر من اللازم، فعدت أسألها:

- «هل لا يوجد حل آخر؟»

- «على قدر علمي.. لا يوجد..»

نظرت إلى عينيها الزرقاوين الصريحتين. وعدت أسألها للمرة الرابعة:

- «وهل تعلمين تفاصيل لا أعلمها عن الموضوع؟»

- «طبعًا.. هذا عملي..»
ومدت يدها لخصلات شعرها المجعدة، وانتزعت شيئًا طويلًا لامعًا سرعان ما فهمت أنه دبوس شعر من طراز غير مألوف.. يشبه السيف الصغير إلى حد كبير..
وبيد ثابتة واثقة غرسته في صدر الدمية.. كيف يخترق الدبوس الخشب الذي صنعت منه الدمية؟ ثم أدركت أنها بالتأكيد ليست خشبية.. لا بد أنها من الفللين المطلي بلون أسود لامع..
طعنة نجلاء في الضلوع: فلو كان كل هذا الهراء صحيحًا فلا بد أن الأم (مارشا) تعتصر صدرها الآن صارخة..
سألت (ماريانا) وأنا متحمس كالأطفال:

- «هلا.. إنني أعابثها توطئة لأن أحرق الدمية نهائيًا..»
سألتها (لندا) في هلع، وكانت قد بدأت تقتنع بالأمر كلية:
- «ولماذا لا تنهين الأمر مرة واحدة رحمة بها؟»
ابتسمت الفتاة في خبث فبدت فاتنة كما لم تكن منذ رأيتها:
- «هذه هي تقاليد (الفودو).. القط يلعب بالفأر مدة طويلة قبل أن يلتهمه..»
- «وهل ستعرف أنك صاحبة التأثير السحري الضار؟»
- «من العسير أن تخمن.. فأنا غير مشهورة مثلها، ولم نلتق قط.. لكني أعرف كل شيء عنها، وأعرف أساليبها.. لسوف

تحاول تجريد دميتها من السحر، لكنّها لن تستطيع... إن مدرسة (بورت ريكو) أقوى بكثير من مدرسة (جامايكا) في (الفودو)..»

ثم بلهجة آمرة:

- «تستطيعون الانصراف هادئي البال.. لقد تم كله شيء..»

واتجهنا إلى الباب شاعرين بما يشعر به زبون الحانة الثمن حين يطرد في آخر الليل، فيمشي في الطرقات الباردة عاجزًا عن تذكر اسمه أو مكانه أو اتجاهه.. فقط يعرف أن ليس على ما يرام...

هنا دوى صوتها من جديد:

- «مستر (شيلدون).. أرجو أن تعود لي بعد ما تطمئن إلى أن زوجتك وابنك في

الفندق.. ثمّة أمور لا بد من توضيحها، لكنّ ليس أمامهما!»

هززت رأسي في استسلام؛ وأغلقت الباب..

ليل (نيويورك) البارد له رائحة الطهر بعد هذا الجو الغريب..

أشير إلى سيارة أجرة، فأفتح الباب لـ (لندا) و(جيمي)، وأترك لهما بعض المال، ثم أستعد للعودة إلى الساحرة..

تقول لي (لندا) في عصبية:

- «ماذا تريد هذه الشيطانة منك؟»

قلت وأنا أغلق باب السيارة:

- «لو كنت أعرف لما عدت...»

- «إذن خذ الحذر.. إن هذه المرأة لا تريحني... إنها....»

وصمتت.. لكني فهمت ما تريد قوله..

المشكلة هي أن (ماريانا) جميلة جدًّا.. جميلة من الطراز الذي يتحول الرجال أمامه إلى اطفال امام لا يفقهون شيئًا.. جميلة قادمة من نفس المسبك الذي جاءت منه (سالومي) و(ماتا هاري) و(دليلة) وكل الأخريات اللواتي قهرن أقوى الرجال بسحرهن.. قلت لها وأنا أستدير مبتعدًا:

- «كنت أظنك تعرفينني جيدًا!»

- «بل أنا أعرفك جيدًا.. لهذا لا أشعر بأية راحة!»

وابتعدت السيارة.. ترى ماذا كانت تعنيه بكلماتها هذه؟

* * *

ومن جديد أعود إلى القاعة الفسيحة التي غمرها الضوء الأزرق كأنه بدر صناعي، واشم تلك الرائحة...

على الوسادة كانت جالسة تداعب قطها الإيراني البدين.. عجبًا! لشد ما تشبه الحيوانات البشر! هذا القط بدا لي كثري خامل ثقيل الظل وهو ينعس جوارها في غباء..

قالت حين رأتني عائدًا:

- «تعال يا مستر (شيلدون) وانظر معي إلى البلورة.. ولكن لا تخف مما تراه!»

❋ ❋ ❋

- ٥ -

(لم ينته خطاب (هاري) بعد..)..

رحت أحملق في البللورة فلم أر شيئًا.. فقط تلك الانكسارات الضوئية المألوفة التي يعبثنا الزجاج بها حين لا يجد شيئًا آخر يفعله...

قالت وهي تنهض من على الأرض:

- «لا تقنط.. استمر في تأمل الزجاج وفكر.. فكر في زوجتك.. وفي طفلك..»

كانت تمشي على الأرض حافية القدمين، ولاحظت أن أظفار قدميها طويلة جدًا كالمخالب، وقد طلتها بلون أزرق فاقع..... وأثارت هذه الملحوظة شيئًا من التقزز في

نفسي.. فهد آدمي.. هذه المرأة فهد لا امرأة..

رحت أتأمل البللورة في صبر، حين سمعت رنين كأس.. ولمحت يدها تمتد لي من فوق كتفي بكأس مترعة بسائل أزرق..

تناولت الكاس وتشممت هذا الشيء.. على قدر علمي لا يوجد مشروب أزرق في الكون؛ ولا اعتقد أن هؤلاء القوم يشربون الحبر...

سألتها بعيني عن محتوى الكأس، فقالت وهي تعود لجلستها حاملة كأس مماثلة:

- «هذا سر من أسرار (بورت ريكو).. لكنّ لا تخف.. ليس به ذيل سحلية ولا جناح خفاش..»

رشفت رشفة.. كان عطرًا قليلًا ومذاقه ليس رديئًا.. ربما هو أقرب شيء إلى الشاي المكسيكي بالليمون، وهذا ـ بالطبع ـ لن يقرب مذاقه لذهنك يا عزيزي لأنك لم تذق هذا ولا ذاك..

قالت لي وعيناها تلتمعان:

ـ «أنت تحب أسرتك يا مستر (شيلدون)..»

ـ «مثلما تحبين أنت أسرتك.. هل أنت متزوجة؟»

رشفت رشفة من كأسها، وقالت:

- «لا.. إن بعض الساحرات يستمددن قواهن من عدم الزواج.. مثلما كانت كاهنات (دلفي) قديمًا.. ولهذا لم ولن أتزوج..»

- «يا للخسارة! لقد خسر كثيرًا..»
- «من؟»
- «زوجك الذي لن تتزوجيه..»
ضحكت قليلًا وقد راقت لها الدعابة، ثم عادت الجدّيّة إلى ملامحها وأمرتني بإعادة تأمل البللورة..
بضع دقائق من التركيز ثم بدأت أرى أشياء..
كانت خيالات ربما ولدها إرهاق عيني.. أنت تعرف النصائح التي يسدونها لمن يبتاع بللورة سحرية من تلك المحلات في (هارلم).. يقولون له أن يتدرب بضعة أشهر على الحملقة في كوب مليء بالحبر، ويحاول أن يرى فيه أشياء.. بعد هذا تكون البللورات شيئًا مألوفًا له..

أعتقد أنها مجرد طريقة للإصابة بالخبال.. وعندما تصاب بالخبال يغدو من السهل أن ترى أي شيء في البللورة.. من (آشور بانيبال) حتى زوج خالتك..

حسن.. أعتقد أنّ هذا هو ما حدث معي..

لقد رأيت الأم (مارشا) العزيزة تأخذ قطرات دم من يدي وتضعها في كأس.. ثم رأيت (جابرييل) يقف أمامها في رهبة كعادته معها، بعدها رأيت (مارشا) تمسك بدمية (لندا) إياها التي سرقها ابنها من داري، وممسكة بإبرة دقيقة راحت تغرس فيها اشياء لم ادر كنهها.. تغرسها في الصدر والبطن والأطراف..

بعد هذا أمسكت بمحقن ودست الإبرة في الكأس، وشفطت بضع قطرات من دمي،

ثم حقنتها في رأس الدمية بحذر شديد...
انتقلت الكاميرا بحركة (ترافلنج) بطيئة جدًّا لتظهر لنا وجه (جابرييل) يبتسم ابتسامة شيطانية.. دقيقة جدًا هذه البللورة حتى إنني توقعت سماع موسيقا تصويرية رهيبة في أية لحظة..

فتحت فمي لأقول:.

- «ولكن ما معنى هذا الطقس؟»

فما إن وصلت إلى حرف (العين) في جملتي حتى تبددت الصورة كماء جدول ألقيت فيه حجرًا..

وسمعت (ماريانا) تطقطق بلسانها، وتقول لائمة:

- «كان يجب أن تصمت.. إن هذه الرؤي حساسة جدًا. وسريعة الذوبان..»

كنت أرتجف هلعًا، فالأمر كان له مذاق كريه غريب.. وحين تمالكت نفسي سألتها:

- «ما.. ما معنى هذا بحق السماء؟»

اتكأت على مرفقها الأيسر، وراحت تداعب القط الممل في استرخاء، ثم قالت



بعـدها رأيت (مـارشـا) تمسك بدمـيـة (لندا) إياها التى سرقها ابنها من دارى ..

بلهجة هادئة رزينة:
- «هذا هو ما تم بعد مغادرتك شقّة الأم (مارشا) في (فلوريدا).. لقد قدمت لها دمك عن طيب خاطر.. وهذا الدم الممنوح برضا هو ما كانت تحتاج إليه كي تحكم قبضتها على صاحبة الدمية، فالمفترض أن يكون صاحب الدم ذا علاقة روحية وثيقة بمن تمثلها الدمية، وأن يمنح دمه لساحر (الفودو) عن طيب خاطر وبلا إرغام.. وهذا ما يجعل الأمر شبه مستحيل.. لهذا يلجأ السحرة إلى الخداع والكذب..»
- «وكيف يمكن وقف هذا المفعول الرهيب؟»
ابتسمت وأشارت إلى دمية الأم (مارشا) إياها، وكانت قد وضعتها فوق رف

خاص.. وقالت:
- «بقتل الساحرة طبعًا.. هل نسيت ما جاء بالعهد القديم؟ (لا تترك ساحرة تعيش).. سفر الخروج - الإصحاح ٢٢ - آية ١٨»

قلت وانا ابتسم بر غمي:
- «لو تم الالتزام بما جاء في العهد القديم لكان على أن أبدأ بقتلك أنت.. فأنت كذلك ساحرة..»
- «لو قتلتني لما علمت ما تعلمه الان.. ولما تفاديته..»

رأسي مزدحم بالأسئلة لكنّ هذه المرأة تتكلم بالقطارة.. لذا حاولت ترتيب ما أريد الاستفسار عنه في نقاط:
- «لقد مر زمن طويل منذ زرت الأم (مارشا) ومنحتها دمي، فلماذا لم يحدث

شيء حتى الآن؟»

- «يحتاج الأمر إلى أشهر من المعالجات الخاصّة.. ولا أظنك متضايقًا لتأخير الكارثة..»

- «كيف ولماذا تريد. الأم (مارشا) إحكام قبضتها على (لندا)؟»

نهضت في رشاقة، واتجهت إلى الجدار.. رأيتها تفتح خزانة موصدة فتتناول منها عددًا من الشموع السوداء.. ثم بوساطة عود ثقاب أشعلت واحدة منها، وثبتتها في شمعدان سباعي فضي.. ثم واصلت غرس وإشعال باقي الشموع..

قالت وهي تواصل عملها كأنه روتين ممل:

- «لأنهّا تريدها لابنها (جابرييل)! إن الفتى بحاجة إلى زوجة أمريكية بيضاء، ومن المصادفة أنه يحبّ زوجتك منذ رآها أول مرة في (جامايكا).. دماءك التي في رأس الدمية ستبدأ في الغليان ولن تطيق (لندا) أن تراك، بل ستهرع لتكون خادمة (جابرييل) وجاريته وزوجته..»

- «كذب!»

صرخت وأنا أثب على قدمي محنقًا، عازمًا على تحطيم رأس أي إنسان أجده.. فلمّا لم أجد ركلت - للأسف - القط ثقيل الظل.. فأصدر أنينًا غريبًا.. لست من هؤلاء العصبيين الحمقى لكني شعرت للحظة بأنني أفهم كل ما يقولون عن القطط..

هتفت المرأة محنقة:

- «لاتثر غضبه.. فلن تحتمل تبعات ذلك!»

وكان القط الأبله قد ركض إلى ركن القاعة فوقف هناك متحفزًا يرمقني في كراهية... هرعت (ماريانا) إليه وركعت على ركبتيها جواره تحتضنه وتنظر لي نظرتها اللائمة..

قلت لها دون أن أعتذر:

- «كل هذا الكلام تخريف وادعاء..»

- «لك أن تعتبره كما تريد.. لكنّ صدق كلامي سيتضح بعد أيام وعندها ستتذكر سمراء (الكاريبي) التي قالت لك الصواب ذاته..»

ثم أدارت ظهرها لتتولى أمر شموعها السوداء..

وفي فتور قالت:

- «شكرًا على زيارتك يا مستر (شيلدون)..»

غادرت المكان مفعمًا بالشكوك ومشاعر متناقضة.. وذات شعور السكير المطرود من حانة يطاردني..

اكتب لك هذه الرسالة بالغة الطول - أربع عشرة صفحة - في غرفة الفندق، وقد نام (جيمي) ونامت (لندا) والفجر يتثاءب بعد نعاس مريح..

(رفعت).. إنني خانف..

لن أعود إلى (فلوريدا) فورًا.. سأنتظر بضعة أيام أخرى.. إن (ماريانا) تعرف

الكثير وأنا بحاجة إلى معرفة ما تعرفه..
اكتب لي سريعًا برأيك كاملًا..
بإخلاص: هاري شيلدون

* * *

القاهرة في ١٦ ابريل:
عزيزي (هاري):
تلقيت في شغف خطابك الطويل عن مقابلتك مع ساحرة (الكاريبي) الساحرة.. وقد قرأته في نفس الوقت الذي يمكن أن أقرأ فيه مرجعًا طبيًا سميكًا.. إنه يصلح لطباعته ككتاب من القطع الكبير يكون اسمه (الساحرة والأحمق) أو (المعتوه يلدغ من جحر مرّتين):

أنت متهور يا (هاري).. وقد حاولت أن تداوي المصيبة بكارثة.. وأرى أنك نجحت إلى حد كبير...

* * *

- ٦ -

(بقية خطاب رفعت)..

هل تذكر كلمات د. (لوسيفر) - الحكيمة برغم أن قائلها وغد ـ لك في جلسة لعب الورق إياها؟ «المرء لا يترك قطرات من دمه لدى ساحرة (فودو) ويرحل...»

هأنذا تكرر ذات الخطأ حرفيًا.. ثم إنني تعلّمت أن أخاف النساء بارعات الحسن اللواتي يتحول الرجل أمامهن إلى طفل..

إنني أهنئك على هذا الوصف الدقيق الذي جعلني معكم في مكان واحد أشم رائحة العطر وأرى الضوء الأزرق.. لكن المرأة لم تسحرني ولم تفتني؛ لأني لم ألقها

شخصيًا.. لهذا أنذرك مما يتراءى لي بين السطور...

تأمل معي كل هذا..

ساحرة (فودو) تملك خصلات من شعر مئات الناس.. بل وشعر الأم (مارشا) شخصيًا، ولا أدري كيف نجحت في سرقته..

البللورة السحرية تريك وحشًا أخضر اللون له ذيل..

الشموع السوداء التي تشعلها أمامك، وهي طريقة سحرة (الفودو) في قتل أعدائهم.. فهم يشعلونها تحت صورة العدو حتى تحترق كلها..

القط الشبيه برجل أعمال مكتنز خمول....

ثم شراب أزرق تجرعه أنت دون حذر.. وأنا لا أثق بأي شراب أزرق منذ نعومة أظفاري ومعي حق في هذا...

إن هذه المرأة خطرة يا (هاري).. خطرة وأنصحك بألا تتعامل معها أكثر من هذا... عُد إلى (فلوريدا) وحاول أن تمارس حياة طبيعية إلى أن يتضح شيء جديد...

لا يوجد شيء آخر أقوله.

المخلص: رفعت إسماعيل

❋ ❋ ❋

نيويورك في ٢٥ أبريل

عزيزي (رفعت):

لم أجد في خطابك جديدًا.. بل هو كالحوار الثرثار الذي يضاف إلى الأفلام حين لا يكون له داع.. السيارة تحترق لكنّ البطل يصرخ: السيارة تحترق!

وكنت أحسبك ستقول أشياء حكيمة رائعة، لكنّ هذا عهدي بك..

في الصباح التالي جلست مع (لندا) على مائدة الطعام بالفندق نتناول افطارنا. ولها حكيت ما حدث أمس مع السحرة..

قالت في برود:

- «هذه الذئبة لم تضف شيئًا جديدًا، وأقترح أن نعود إلى (فلوريدا) اليوم..»

قلت لها وأنا أرشف قهوتي:

- «ليس قبل أن أقابلها مرّة أخرى لأعرف المزيد..»

متنمرة عصبية صحت وهي تلقي بشوكتها في طبقها:

- «لكني لا أريد.. لا يُمكنك إرغامي على هذا!»

- «إذن يُمكنك العودة مع (جيمي) وسأبقى أنا..»

كان دمي يغلي غضبًا كعادتي كلما أدركت الحقيقة المروعة: أن الناس لا يطيعونني طاعة عمياء، والكون لا يسير كما أريد له بالضبط.. يسمون هذا بـ (الشخصية الفمية) ويقولون إن أمي أسرفت في تدليلي في طفولتي.. لا يهم.. المهم أنني أعرف الصواب، وكل الحمقى الآخرون لا يعرفونه.. لذا يجب أن يقبلوا ما أقول..

لكن (لندا) لم تكن ممن يميلون لتمر العاصفة:

- «تريد أن نترك لك المكان.. لتتنعم بساحرتك هذه!»

ـ «هل جننت؟»

- «بل أكون مجنونة لو لم أعلق ولم ألحظ انبهارك بها.. إنك تتظاهر بأداء واجبك الأسري لكنك ـ في الحقيقة - لا تؤديه إلا لأنّه يدنيك منها..»

كلام مستفز.. والأسوأ هو أنه ليس كذبًا كله..

قلت لها في هدوء متظاهرًا بأنني سمعت لتوي ألعن حماقة في الكون:

ـ «أنت تخرفين كثيرًا هذه الأيام..»

ـ «وأنت لا تطاق..»

وغادرت المائدة غضبى، فرحت أرمق المحيطين بنا كأنني أقول لهم: ماذا تريدون أيها الفضوليون؟ مشادة بسيطة..

والحق أنني بدأت أشعر أنّ هذه المرأة جميلة، لكنّها حمقاء.. (لندا) هي نموذج للرأس الفارغ الجميل، وأحيانًا أحسّ أنني أمقتها..

وفكرت في (ماريانا) بشيء من الحنين.. (سالومي) القادمة من (الكاريبي) بعطرها المميز وصوتها الرقراق ولكنتها الأسبانية..

ولا أدري متى جلست أمام السكرتيرة انتظر لقاء الساحرة في شقتها.. وفي هذه المرّة كانت الإضاءة حمراء تمامًا.. لكنه لون أحمر رقيق لا يذكرك بالشياطين على

غرار ما تراه في المراقص، لكنه مبهج كأوراق الورد..

قلت لها وأنا أتشمم العطر في الهواء:

- «إذن أنت تغيرين الإضاءة كل يوم..»

قالت وهي تشهق طلبًا للاسترخاء:

- «إن مزاجي هو ما يحدد لي لون اليوم.. اليوم أشعر بخمول وقلق لذا أستعين باللون الأحمر كي يعكس حالتي النفسية أو يبدلها.. أرى أنك لم تكذب خبرًا، وجئتني طالبًا الرأي..»

ثم أشارت إلى بللورتها السحرية، ومدت يدها تتناول تمثال (مارشا) الذي كان على الارض جوارها، وانتزعت دبوسًا من شعرها وغرسته في الدمية..

وفي البللورة رأيت المشهد الذي توقعته: رأيت الأم (مارشا) تصرخ وتعتصر صدرها. ورأيت أن الشباب المحيطين بها يلتفون حولها مذعورين.. أحدهم جلب لها كوب ماء وأحدهم وسد رأسها على صدره.. لكنها كانت تقول أشياء بلغة (جامايكا) المحلّيّة..

قالت (ماريانا) وهي تعيد الدبوس إلى شعرها:

- «تقول لهم إن ساحرًا ما يعابثها بـ (الفتيش).. إن العجوز خبيرة في هذه الأمور، ولا يمكن خداعها.. تقول إنها ستنتقم من هذا الكلب حتمًا لو امهلها القدر..»

- «لكنه لن يمهلها كما نعلم..»

ابتسمت ابتسامة من نوع (هانتذا - قد صرت ـ فاهمًا ـ اللعبة)..
وقالت:
- «أنت ذكي بالإضافة إلى وسامتك.. وماذا عن (لندا)؟»
- «عصبية جدًّا.. وقد تشاجرنا بعنف..»
بخبث ابتسمت وقالت:
- «دعني أخمن.. تشاجرتما بشأن الشيطانة التي ستنتزعك من زوجتك وطفلك.. اليس كذا؟»
أذكاء امرأة أم سحر ساحرة أم هي البلورة السحرية؟ لن أعرف أبدًا.. لكني قلت في ارتباك:
- «بلى.. إن (لندا) حمقاء و.....»

- «بل هو سحر الأم (مارشا) يتحرك في أعماقها.. ومن الواجب أن نسرع أكثر، إن الأمر قد يفوق الكراهية.. قد يفوقها إلى درجة لا تتصورها..»

- «ماذا تعنين؟»

ضحكت ضحكتها الرقراقة وقالت:

- «أتحدث عن القتل طبعًا**!** إن (لندا) قد تكرهك إلى درجة القتل.**!**»

❋ ❋ ❋

وفي اليومين التاليين ساءت علاقتي بـ (لندا) كثيرًا، وتوطدت مع (ماريانا) إلى حد لن تتصوره يا (رفعت)؛ لقد شعرت معها بالعناية والحماية ومنحتني الاطمئنان

الذي يشعر به المريض بين يدي طبيب حاذق.

المشكلة هي أن (لندا) ازدادت عصبية، وصارت علاقتنا سلسلة لا تنتهي من المشاجرات أمام أو من وراء (جيمي) الصغير..

وفي النهاية صارحتها أنني حقًّا راغب في رحيلها إلى (فلوريدا).. كادت تحتج لكنني قلت لها هذه الكلمات وأنا معها في سيارة الأجرة المتجهة إلى المطار، وقد تم حجز تذكرتين لها وللصغير.

ودون كلمات ودعتها في المطار ونصحتها بالحذر بنظرة من عيني، ثم لثمت (جيمي) الذي سألني في براءة:

- «هل ستبقى هنا يا بابا حتى تقتل الساحرة؟»
- «طبعًا يا حبيبي.. بابا يعرف ما يجب عمله...»
كان هذا (الترحيل) المفاجئ غرض غير الذي قد يخطر لك..
الحق أنني كنت قد بدأت أهاب (لندا).. لم أرد أن أخوض هذه الحرب دون أن اطمئن إلى خطوطي الخلفيّة.. لا أريد هجمة من وراء ظهري، وهو شيء وارد جدًّا في عالم السحر المسموم هذا.. أعرف أنك لا توافق على كل هذا يا (رفعت) لكني فعلته على كل حال. وأتوقع منك خطابًا مليئًا بالـ (ياه) والـ (لا) والـ (أوه).. لكني أفعل ما يجب أن أفعله.

بإخلاص: هاري شيلدون

* * *

القاهرة في ٧ مايو:

عزيزي (هاري):

لن أقول (ياه) ولا (لا) ولا (أوه).. بل سأفسح المجال لسباب لا أجرؤ على كتابته لكنك تعرف ما فيه على كل حال..

أنا لا أجد سببًا واحدًا يبرر مشاجراتك مع (لندا)، ولا سببًا يدعوك إلى إرسالها لـ (فلوريدا) التي هي ـ كما قلت في خطابك الأسبق - مرمى حجر من (الكاريبي) والسحرة، ولا أجد سببًا يبرر بقاءك في (نيويورك) بعد ما صار الموضوع منتهيًا..

لا تفسير لهذا كله سوى أنك مسحور مفتون يا عزيزي (هاري)..

كما يقول تعبيركم اللغوي..

bewitched

(هاري).. أنا أرى الغيوم تحتشد.. ولو كان بوسعي أن ألحق بك الآن لفعلت.. لكني أتمنى أن تبصر النور وتفهم موقعك.

المخلص: رفعت إسماعيل

* * *

- ٧ -

تلهاسي في ٢٥ إبريل:

عزيزي د. (رفعت):

إنها المرّة الأولى التي أكتب لك فيها، ولا أدري إن كان (هاري) يراسلك بانتظام لكني وجدت هذا العنوان تحت زجاج مكتبه..

إن الموضوع يتعلق بقصة الدمية التي أعرف أنك تعرفها.. حسن.. ليست هذه هي المشكلة.. المشكلة هي أن (هاري) يتغير باستمرار وغدا مستبدًا برأيه متصلب الدماغ.. وهو حاليًا في (نيويورك) واقع تحت سيطرة ساحرة حسناء من (بورت ريكو) اسمها (ماريانا)..

ثمة شيء ما خطأ في كل هذا..

ساحرة (بورت ريكو) تزعم أن السبيل الوحيد للخلاص من اللعنة التي تلاحقني هو أن تقتل الأم (مارشا) بدمية صنعتها لها.. لا أعرف كل ما قالته المرأة لـ (هاري) لأنّه غامض جدًّا يلتزم الصمت لكنه يصدّق كل حرف تقوله.. وأنا أعتقد ان ساحرة (بورت ريكو) أكثر خطرًا من الأم (مارشا).. فقط هي ناعمة حسناء كالأفعى، وهذا ما يغري الحمقى بالدنو منها...

أما الهدف من لعبتها هذه؟ لا أدري.. كل ما أدريه هو أن حياتنا كانت مستقرة حتى ملأ كابوس الدمية حياة (هاري)، فلم يعد يفكر في شيء آخر..

إنني أتمنى ثانية واحدة من حياتنا السابقة، جين كانت الصراحة شعارنا.. وكان (هاري) ملكي حقًّا.. ترى ما رأيك في هذا يا د. (رفعت)؟

ثمة سؤال آخر له طابع طبي.. وقد خطر لي ألا أخبر (هاري) بشيء حتى أعرف وجهة نظرك..

لقد لاحظت في الأيام الثلاثة السابقة شيئًا يشبه الخدوش في جسدي؛ خدوشًا على البطن والذراعين والقدمين.. خدوشًا تؤلم كالخدوش وتبدو كالخدوش.. بحق السماء! إنها خدوش فعلًا؟

هذه الخدوش تظهر تلقائيًا.. فلا تزعم لي أن فهدًا يداعبني بمخالبه في أثناء نومي، وقد ذهبت لطبيب الأسرة الذي فحصها

بعناية، ثم قام بحجز موعد لي لدى مختص أمراض... نفسية!
جن جنوني وسألته عن سبب عدم طلبه لرأي مختص بالأمراض الجلدية، فقال لي إنّه يعتقد أنّ هذه الجروح ذاتيّة (Self inflicted) مما يجعله في شك من حالتي النفسية..
وفي عيادة د. (مورجان)، باشر الطبيب فحص جلدي بعدسة مقربة، وقال لي كلامًا كثيرًا عن عادة التمزيق الذاتي (Automutilation) التي تمارسها النساء العصابيات.. فهن يخدشن أنفسهن ويمزقن جلودهن ربما دون أن يعرفن ذلك، وهذا تنفيث عن توتر طال أمده..
سألته في حزم:

- «أنت تعتقد أنني صاحبة هذه الخدوش؟»
هزّ رأسه، وقال على الفور:
- «بالطبع لا! إن اتجاه الخدوش - حيث يتجمع الجلد - هو للخارج وليس للداخل.. وهي القاعدة التي يعرفها كل طبيب شرعي عن ظهر قلب.. لا يُمكنك عمل هذه الخدوش لنفسك..»
وهكذا فارقته شاعرة بتوتر غريب..
كلهم قالوا إنّه ما من مرض جلدي يحدث هذا المنظر.. وأنا أعرف أنه ما من أحد في داري يخدشني ليلًا.. فما تفسير ذلك؟
د.(رفعت).. إنني أزداد تشوها يومًا بعد يوم.. وتفكيري يتركز في الاحتمال الوحيد الباقي: دمية (الفتيش)..

فما رأيك أنت؟
ملحوظة: راجع الصورة المرفقة.
بإخلاص: لندا شيلدون

* * *

القاهرة في ٧ مايو:

عزيزتي (لندا):

يثير دهشتي كل ما ذكرت في خطابك عن (هاري).. وما كنت لأتوقع أن يصل به الحماس إلى هذا الحد[3]..

أنا طبيب ومن واجبي أن أجد اسمًا لاتينيًا من عشرة أحرف لهذا الذي تمرين به، لكني لا أجد.. ولا أجد في نفسي ميلًا لقبول نظرية الدمية هذه.. لقد رأيت مفعولها وخطرها، لكني لا أعتقد أن أحدًا سيلهو بخدشها على سبيل التسلية..

قمت بعرض الصورة الفوتوغرافية التي أرسلتها الي على بعض الأطباء المختصين بالأمراض الجلدية، فلست أنا خير من يُفتي



وفى عيادة د . (مورجان) ، باشر الطبيب فحص جلدى بعدسة مقربة ، وقال لى كلامًا كثيرًا . .

في هذه الأمور، خاصة إذا كان التصوير رديئًا إلى هذا الحد.. وكان رأي أحدهم أنها صورة لظهر سحلية، ورأى آخر أنها تشبه ساحل إفريقيا الشمالي كما يراه القمر الصناعي، وقال ثالث في ثقة إنها صورة دقيقة جدًا لباكتريا السل..

الحق أنني لا أجد ما أقول يا (لندا) سوى: سأكتب لـ (هاري) كي يلحق بك في (فلوريدا) ولتنته هذه القصة اللعينة.. سأرسل لك كذلك عنوانًا أو اثنين لأطباء في (انجلترا) يُمكنك إرسال صور فوتوغرافية أفضل لهم.

المخلص: رفعت إسماعيل

* * *

تلهاسي في ٢٨ إبريل:

الأم (مارشا):

هكذا أناديك دون ألقاب رسمية، والحق أقول إنني لا أعرف اسمك الكامل.. لم أجرؤ كذلك ـ لأسباب يطول شرحها ـ على زيارتك في العنوان الذي وجدته في أوراق زوجي؛ لهذا كتبت لك هذا الخطاب أملًا في أن أجد منك عونًا..

إن زوجي (هاري شيلدون) متغيب الآن في (فلوريدا).. يستعين بسحر فتاة من مواطنيك اسمها (ماريانا بوجادو)، ويبدو أنها ساحرة (فودو) بارعة، لكنّها أوقعته في شباكها الشيطانية ويبدو أنها تسعى جاهدة كي تفرق بيني وبينه لأسباب لا أعرفها حقًّا..

ثمة مشكلة صحية تؤرقني، ولم يجد لها الطب تفسيرًا علميًا محترمًا..

لهذا كله أرجو أن أتلقى منك ردًا على هذه الرسالة، وأن تسمحي لي بزيارتك للاستشارة، وأنا مستعدة لدفع أية تكاليف.

لندا شيلدون

* * *

(خطاب بالفرنسية)..

عزيزتي مسز (شيلدون):

تلقيت في شغف خطابك، وبالطبع اضطررت للاستعانة بمترجم كي يفسر لي بدقة؛ ثم أمليت هذا الرد إملاء لأن الكتابة

لم تكن قط من الفنون التي اجيدها.. إنها عسيرة حتى على ساحرة (فودو)...

إنني يا بنة أعرف كل شيء عن (ماريانا) وسحرها، ومن المؤسف أن زوجك الشاب حار الدماء لم يكن بالذكاء المطلوب، ووقع في خيوط العنكبوت، فلم يبق عليها إلا أنّ تثقب بطنه لتمتص أحشاءه..

إن ميثاق ساحرات (الفودو) صارم، ولا يمكن مخالفته، لهذا اكتفيت بتحذير زوجك تحذيرًا عابرًا غامضًا..

لكن (ماريانا) لم تعد منا.. ولم أعد أحمل نحوها أي التزام، لأنّها تحاربني صراحة.. لهذا يسرني أن أساعدك على مواجهتها..

أنا بانتظارك في أية ساعة بعد الثامنة من مساء غد.. وكوني حذرة في طريقك، لأن

منطقتي أبعد ما تكون عن أن توصف بالأمن.

خادمتك المطيعة

مارشا باريت

❋ ❋ ❋

تلهاسي في ٣٠ إبريل:

عزيزي د. (رفعت):

دعني أحدثك عن التجربة الخارقة التي قمت بها الليلة، والتي عدت منها فورًا منذ عشر دقائق..

رباه! إن القلم يرتجف في يدي انفعالًا، وهأنذا أخلط قواعد اللغة وأستبدل حروف الجر.. أعذرني..

لقد ذهبت لزيارة الأم (مارشا) في العنوان الذي وجدته لدى (هاري)، وبالطبع لم أصحب (جيمي) معي لأن ساحرتي (فودو) هما جرعة أكثر من اللازم بالنسبة لطفل في سنه.. لذا تركته مع جليسة أطفال..

ستقول لي: يا حمقاء! ربما.. لكني لن أنتظر حتى تهدم الأخرى حياتي وتشوه جسدي.. يجب أن أرى ساحرة الـ (فودو) الوحيدة التي أعرف مكانها، وهي الأم (مارشا)..

كانت المغامرة الحقيقية هي اجتياز تلك الأزقة القذرة الملأى بأوغاد (الكاريبي) يلتفون حول براميلهم المشتعلة بالنار على سبيل التدفئة، ويرمقونني في ارتياب وكراهية..

وكنت مستعدة للدفاع عن نفسي في أية لحظة؛ وقد أمسكت بسلسلة مفاتيح وأبرزت مفتاحًا بين كل إصبعين من قبضتي؛ لتصير لكمتي شرسة.. وهي الطريقة التي تعلمتها في مدرسة الدفاع عن النفس..

لكن شيئًا لم يحدث لحسن الحظ.. ودلني شاب ذو قلنسوة صوفية على دار الأم (مارشا)، وكان هذا كافيًا كي يحترمني الجميع.. إن للساحرة العجوز سلطة مطلقة ومهابة في هذا القطاع..

وحين دخلت كانت.....

قمت - أنا (رفعت إسماعيل) - بحذف الوصف المكرر من خطاب (لندا) لأنّه لن يضيف شيئًا.. فلقد رأت ما رآه (هاري) بالضبط..

كانت هذه أول مرة ألقاها فيها منذ التقينا في (كنجزتن) عندما احترق بيت د. (دلمار)، وبدت الى أكثر بشاعة وقبحًا.. رباه! لو كانت تمثل الخير في هذا الصراع فكيف يبدو الشر؟!

قالت لي بصوتها الأجوف الغريب وإنجليزيتها المضحكة الرديئة:

- «تعالي يا بنة واجلسي..»

واشعلت سيجارًا شبيهًا بما يدخنه الرفيق (فيدل كاسترو) حين ينهمك في حكم (كوبا).. فجلست جوارها وسعلت قليلًا..

قالت الأم (مارشا) وهي تتأمل الخدوش على وجهي:

- «زوجك الأحمق قد شرب شراب (ماريانا).. حمقى قليلون جدًّا هم من يرون

شرابًا أزرق فيشربونه! ثم أعطاها قطرات من دمه، وهذا أكثر حمقًا.. فالمرء لا يعطى قطرات من دمه الساحرة (فودو) أبدًا!»

قلت لها وقد أثار ما قالته غيظي:

- «فيما عداك طبعًا؟»

- «ولا أنا! ماذا تعرفين عنى يا بنة؟ وماذا عن نواياي؟ زوجك الأحمق كرر الخطأ مرّتين.. فلو فرضنا أنه يستطيع أن يثق بي.. فكيف يثق بـ (ماريانا)؟»

- «كان حائرًا عاجزًا عن اتخاذ جواب صائب.. ولكن كيف عرفت كل هذا؟»

نهضت، وبقامة محنية كالقرد اتجهت إلى فتحة في الجدار، مغطاة بستار أحمر، فأزاحت الستار.. عندها رأيت الجمجمة

إياها ذات الشمعتين في تجويفي العينين (المحجرين):..

وقالت وهي تعيد إشعال الشمعتين:

- «إن لي أساليبي..»

ثم أردفت وهي تعود لجلستها على الأريكة، وتلملم أطراف عباءتها زاهية الألوان إلى حد مقزز:

- «بالمناسبة.. كيف حال ذلك الطبيب المصري الوسيم - وحكت رأسها محاولة التذكر -.. (رفعت) على ما أذكر..»

ابتسمت برغمي.. وأرجو أن تسامحني يا د. (رفعت).. فلا أحد يمكن أن يسميك وسيمًا؛ لكنه ذوق هذه العجوز الشمطاء الغريب..

- «بخير.. ما زال يعاني ملاحقة الأشباح له..»

قالت وهي تجرع جرعة كبيرة من زجاجة بجوارها:

- «له تحياتي.. ولنعد الآن إلى (ماريانا).. دعيني أصارحك بسر رهيب يا بنة.. إن (جابرييل) هو من سرق خزانة زوجك!»

قررت أن أكون صريحة بدوري، فقلت:

- «ونحن نعرف هذا من البداية!»

* * *

- ٨ -

(باقي خطاب لندا)...

ضحكت المرأة طويلًا ضحكة زنجية رفيعة رنانة..

- «هي هي! هذا هو ما نُسمّيه (ركض الثعالب).. كلانا يعرف حقائق كثيرة عن الآخر لكننا نداريها عن بعض.. هي هي! وهل تعرفين لماذا سرق (جابرييل) الدمية؟ لأنّه مسحور يا بنيتي.. مسحور.. واقع تحت سحر (ماريانا) اللعينة.. إن دمية (الفتيش) عندها، وهي تملك سيطرة كاملة على الفتى.. لهذا نفيته إلى (كنجزتن).. أمرته بالرحيل إلى هناك حتى أجد خلاصا لروحه..»

- «ولماذا جلب (هاري، إلى هنا؟»

- «أنا أمرته بذلك.. كنت بحاجة إلى قطرات من دم المستر (شيلدون) كي أستخدمها في إيذاء (ماريانا).. إن دميتك عندها ودماء الرجل الذي تحبينه عندي.. توجد طريقة نعرفها نحن لاستخدام هذه الرابطة..»

«إذن ما الذي قمت به حين زارك أول مرة.. يوم جردت دمية (الفتيش) من سحرها؟»

نفثت دخان السيجار في وجهي وسعلت، وقالت:

- «لم أفعل شيئًا.. فقط تظاهرت بأنني أفعل.. وما كنت لأستطيع عمل شيء دون الدمية نفسها.. إن النصاب لا يُفتضح أمره

في مهنتنا هذه أبدًا يا بنة.. كلنا نفعل نفس الشيء ونقول نفس العبارات ونطلق ذات البخور، فماذا تتوقعين أن يكون علامة مميزة للنصاب؟ لقد صدقني زوجك ومنحني دمه عن طيب خاطر.. وهكذا بدأت محاولاتي لإيذاء (ماريانا)..»

- «ولم تنجحي بعد..»

- «حقًّا.. إن سحرة (بورت ريكو) أقوى منا بمراحل.. لكني سأفعلها بالتأكيد.. حتمًا سأفعلها..»

قلت لها وأنا أبتسم في تشف:

- «هي الأخرى صنعت لك دمية، وهي تتسلى بإيذائها...»

انفجرت المرأة تضحك كاشفة عن أسنان نخرة مقيتة.. أعني بالطبع ما تبقى منها..

وقالت:

ـ «صدقت أنت أيضًا هذا المشهد! ألم أقل لك إن النصاب لا ينكشف في مهنتنا هذه؟ إن الأمر كله سخيف.. هل تصدقين أنّ هذه المرأة ظفرت بشعيرات من رأسي؟ كيف؟ ومن هو مراسلها في (كنجزتن) كي يرسل لها هذه الشعيرات؟ ولماذا تحتفظ بهذا الشعر طيلة الوقت بانتظار أن يعرض عليها أحدهم فكرة قتلي؟ إن الفكرة كلها طفولية، وما كان من المعقول أن تصدقاها..

«لا أحتاج إلى ذكاء كثير كي أعرف أنها تعرض على زوجك صورًا رهيبة في بللورتها السحرية؛ للعذاب والألم الذي ألقاه الآن..»

كان كل هذا لا يصدّق.. فعدت أسألها:

- «هل (ماريانا) هذه ساحرة أم نصابة؟ وإن كانت نصابة فما هو خطرها بالنسبة لك؟»

قالت وهي تطفئ سيجارها:

- «بل هي ساحرة.. ساحرة لعينة إن كانت هناك ساحرة غير لعينة.. لكنّها خدعت زوجك كي تكسب ثقته أكثر.. والآن يُمكنك فهم الأمر بوضوح:

«أولًا: سرقت دمية (فتيش) متقنة لك..»

«ثانيًا: ظفرت بقطرات دم من زوجك منحك إياها بكامل رضاه، وضعى ألف خط تحت جملة (بكامل رضاه) هذه..»

«ثالثًا: ظفرت بزوجك نفسه، عن طريق جمالها وشرابها الأزرق..»

«هل بدأت تفهمين ما أريد قوله؟»
بغباء قلت لها وأنا أهز رأسي:
- «لا أفهم شيئًا واحدًا لعينًا..»
مطت شفتها السفلى زرقاء اللون في اشمئزاز، وغمغمت:
- «أنت طفلة بلا خبرة، ومن الحكمة ألا تعرفي أكثر.. كل ما يمكن قوله هو أن أسرتك ذاهبة إلى الهاوية.. هل تفهمين هذا على الأقل؟»
- «أفهمه.. وأخشى أن نكون متأخرين جدًا..»
- «لا يوجد سوى سبيل واحد للنجاة: أن تساعديني في قتل (ماريانا)!»
تحفزت في جلستي شاعرة بأنني في ورطة لا مفر منها، وقلت:

- «لن أزورها في شقتها لأحز عنقها بالمقص لو كان هذا ما تفكرين فيه!»

- «إنها فكرة طيبة لكنك لا تملكين الأعصاب لهذا.. إنني بحاجة إلى خصلة من شعرها!»

ها نحن أولاء نكرر القصة ثانية، وقد صرت في وسط مبارزة بالدمى لا يعلم سوى الله (سبحانه وتعالى) كيف تنتهي..

- «هل ستصنعين لها دمية (فتيش)؟»

- «لا يوجد حل آخر..»

- «أو لا تملكين مكتبة من خصلات الشعر مثلها؟»

من جديد مطت شفتها السفلى مشمئزة، وقالت:

- «إنها لا تملك شيئًا كهذا.. ولو امتلكت فمن الطبيعي أن تقتني خصلة من شعري بينما لا أمتلك أنا خصلة من شعرها.. من الممكن أن تكون عندك صورة موقعة من (إلفيس بريسلي)، لكنّ من المستحيل أن تكون لدى (إلفيس) صورة موقعة منك! الكل يعرف الأم (مارشا) ويعمل حسابها لكنّها تكاد لا تعرف أحدًا بعينه!»

سألتها وأنا أتأهب للرحيل:

- «وكيف أحصل على هذه الخصلات؟»

- «الأمر مستحيل بالنسبة لي ولك.. لكنّ زوجك يستطيع! إن فرشاة شعر المرأة أو مشطها تصلح تمامًا..»

- «وهل يقبل (هاري) هذا؟»

- «ليكن هو الاختبار الأخير الذي يبر هن به على حبّه لك..»
وإذ نهضت تذكرت شيئًا، ففتحت حقيبتي متسائلة:
- «أ... ما هو أجرك؟ أرجو ألا يكون قطرات من دمي؟»
ضحكت كثيرًا عارضة على ثروتها من فجوات الفم، ثم قالت:
- «هي هي! لا أجر يابنة.. لا أجر.. إن المصلحة واحدة.. هي هي! (داماسو)! أين أنت أيها الأحمق؟»
فرأيت عملاقًا أسود يرتدي (سويتر) جلديًا على اللحم بر غم برودة الجو، وله تلك الخصلات المضفرة الطويلة المميزة

لقومه؛ رأيته يدخل الغرفة وهو يتأملني بعينين صفراوين!

قالت الأم (مارشا) دون أن تنظر إليه:

ـ «اوصلها إلى مكان آمن وتاكد من انها ركبت سيارة أجرة.. إنها في حمايتك..»

ـ «ليكن ايتها الأم..»

وخرجت معه عبر الطرقات المظلمة المخيفة، كان يحمل كشافًا يضيء به الطريق لنا.. وكان هناك حشد من شبابهم على قارعة الشارع يبحثون عن المشاغبة، فوقف كجدار من العضلات أمامهم، وسلط الكشاف على وجهه ليعرفوا من هو.. هكذا مررت دون متاعب!

وهأنذا في داري أكتب لك هذه السطور يا د. (رفعت).. بعد هذا سأكتب لـ (هاري)

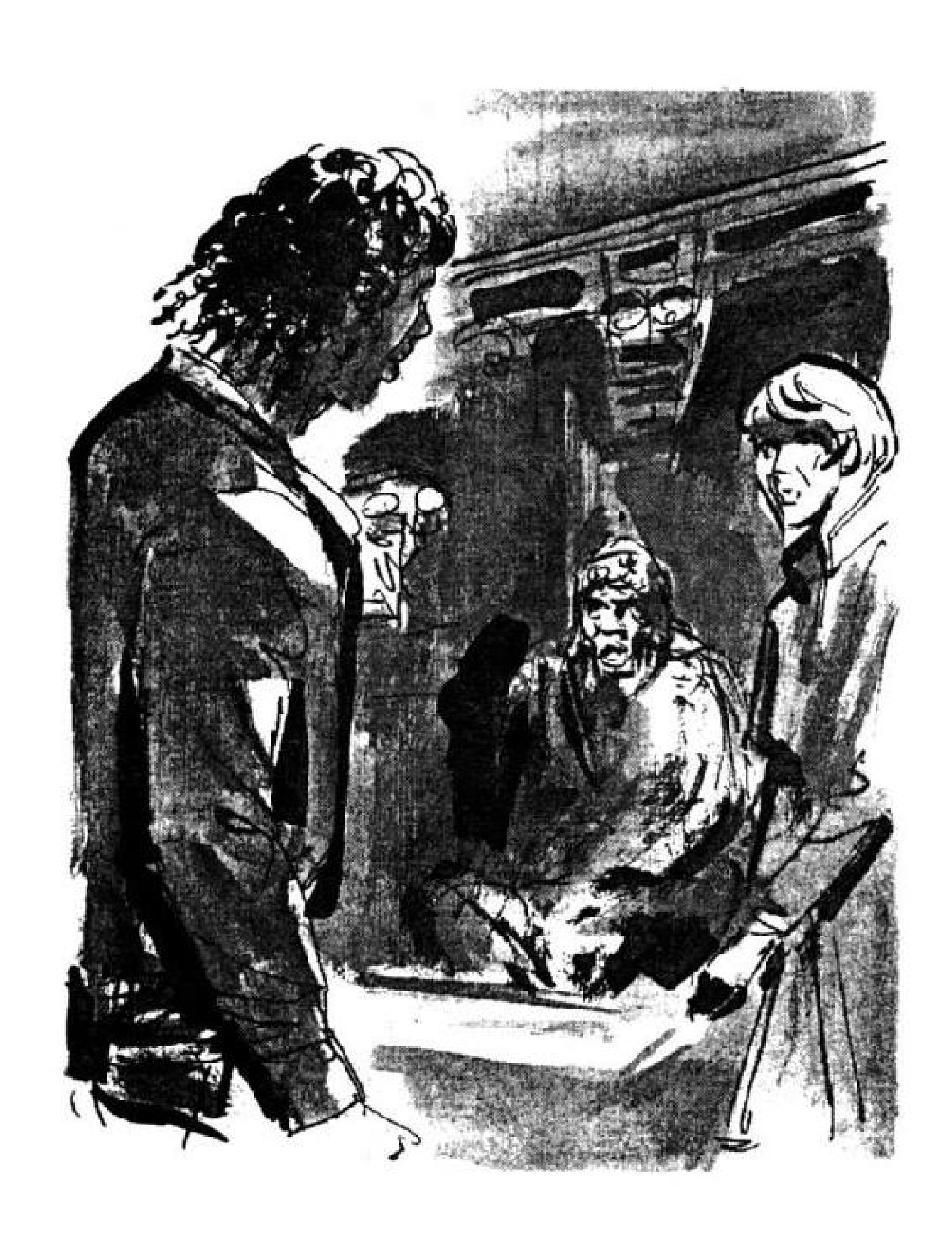
طالبة المطلب العجيب: شعيرات من رأس (ماريانا).. سأحاول أن أكون حازمة مقنعة لأنّه يؤمن بـ (ماريانا) ويثق بها، ولن يسمح لأحد بالتشكك في أمرها..

أرجو أن تصارحني برأيك.

بإخلاص: لندا شيلدون

❋ ❋ ❋

القاهرة في ١٠ مايو:
عزيزتي (لندا):
وصلني خطاباك المؤرخان ٢٠ أبريل و٣٠ وأبريل وقد أرسلت لي الخطاب الأخير قبل أن يصلك ردي على الأول، ربما بسبب تلاحق الأحداث.. لقد اختلطت على الحقائق تمامًا، ولم أعد أرى شيئًا في هذا الضباب.. لكني أكرر عرضي بأن تستدعي (هاري) ليعود إلى (فلوريدا).. لقد مر عليه شهر ونيف في (نيويورك) ولا أعتقد أن إجازته مفتوحة..
كنت أتمنى أن أنصحك بنسيان الأمر كله، لكني لست مستريح الضمير إلى نصيحة كهذه، ولربما كان موضوع خصلة الشعر



فرأيت عملاقًا أسود يرتدى (سويتر) جلديًا على اللحم برغم برودة الجو ، وله تلك الخصلات المضفرة الطويلة المميزة لقومه . .

هذا خاليًا من الضرر.. جربي فلن تخسرى شيئًا..

الدمية لدى (ماريانا)! هذا أقرب للمنطق، ويفسر لنا أشياء كثيرة بما فيها الخدوش في جسدك.. هناك قط في الموضوع على ما أذكر! ويبدو أن دميتك تناسبه جدًا في اللّهو..

ولكن يجب أن نعرف السر وراء هذا كله..

كيف عرفت (ماريانا) بوجود دمية؟ لماذا دميتك بالذات؟ ماذا تريد منها؟ ماذا تفعل بقطرات من دم (هاري)؟ ماذا تفعل بـ (هاري) ذاته وهو - على قدر علمي - لا يصلح لتزيين المكاتب؟

تحبه؟ لا أظن.. لو كانت هذه اللعبة بغرض الظفر بـ (هاري) فهي تتعب نفسها دون داع.. كان يمكنها أن تناديه بـ (بست) أو تبتسم له ابتسامة عابرة، وهذا ـ حسب معرفتي بـ (هاري) - كاف جدًا..

إنني أشعر بغباء شديد.. ويبدو أنني لن أفهم ما يحدث إلا لو كتبت خطابًا للأم (مارشا) أحاول فيه استعمال سحري القديم وضعفها الخاص تجاه وسامتي.. أرجو أن ترسلي لي عنوانها في (فلوريدا)...

المخلص: رفعت إسماعيل

❋ ❋ ❋

تلهاسي في ٣٠ ابريل:

حبيبي (هاري):

هو ذا أسبوع قد مر ولم تكتف خاطرك بالاتصال بي أو بـ (جيمي).. إن زواجنا في خطر داهم يا (هاري).. أنت تعرف ما أريد قوله، وتعرف أنّ هذه الساحرة قد سلبتك توازنك العقلي..

عُد لـ (فلوريدا) دون إبطاء، وانس كل شيء عن الدمية اللعينة.. ثمّة شيء آخر مهم: أنا بحاجة إلى خصلات من شعر رأس هذه الـ (ماريانا).. لا تسألني عن كيفيّة الحصول على فرشاة شعرها أو مشطها فانت على ذلك قدير.. لا تسالني عن غرض الحصول على شعرها.. إنني أحاول إنقاذنا..

هذا هو مطلبي الأوحد يا (هاري).. وأتوقع منك أن تنفذه لي لو كنت راغبًا في أن نظل معًا.. لا تبخل بهذا الدواء لإنقاذ علاقة تلفظ أنفاسها الأخيرة في فراش الشك وعدم الفهم...

(جيمي) يرسل لك تحياته، ويسألك: متى تعود يا بابا؟

إلى أن يفرق الموت بيننا..

زوجتك: لندا

* * *

(نيويورك) في ٤ مايو:

حبيبتي (لندا):

حقا أنا عاجز عن فهم كل هذه العصبية والحيرة في خطابك.. لا توجد مشاكل على الإطلاق، و(ماريانا) ستتخلص من الدمية تمامًا في نهاية هذا الأسبوع.

أراك قد بدأت تنزلقين في حفرة الخبال، وتتحدثين بلغة (الفودو) عن الشعر و(الأثر) وما إلى ذلك..

لا أريد أن تحتل هذه الأمور جزءًا من عالمك..

لكنك قاطعة جدًا في خطابك وحادة، إلى درجة أنني قررت أن أقدم لك الدليل على صدق نواياي.. تجدين في هذا الخطاب ثلاث أو أربع شعيرات من رأس (ماريانا)، وبالطبع دون علمها..

لكني أكرر: لا تتصلي بالأم (مارشا) أبدًا.. افعلي كل ما تريدين على مسئوليتك الخاصّة لكنّ دون اللجوء إلى هذه الشمطاء..

اكتبي لي سريعًا وأخبريني بما يستجد، ولو سار كل شيء على ما يُرام فلربما كنت عندك في نهاية الأسبوع.

في السراء والضراء

زوجك: هاري

* * *

القاهرة في ١٠ مايو:

عزيزي (هاري):

كفاك هرجًا وسخفًا وعُد إلى (فلوريدا).. يا لك من أحمق!

صديقك (للأسف): رفعت إسماعيل

❋ ❋ ❋

- ٩ -

تلهاسي في ٥ مايو:

عزيزي د. (رفعت):

لقد أرسل لي (هاري) عدة شعيرات حصل عليها من رأس (ماريانا).. لا أدري كيف حصل عليها.. فمعنى هذا أنه استطاع الوصول إلى فرشاة شعرها وانتزاع بضع شعيرات.. وهذا يدل على العلاقة الوثيقة بينهما الآن.. لكني مسرورة على كل حال، وقد أرضاني كل الرضا أنه فعل هذا من أجلي حين طلبته..

ولقد توجهت إلى الأم (مارشا)، وخضت بالطبع مغامرة الوصول إلى دارها عبر ذلك المستنقع المزدحم بتماسيح (الكاريبي)

مدمني المخدرات أو بائعيها.. لم يكن لديها هاتف وإلا لطلبت منها أن ترسل من يصطحبني..

ووصلت بسلام.. فدخلت إليها، ودون كلمة أخرى قدمت لها الشعيرات، وكانت قد أعدت دمية تشبه إلى حدٍ ما ساحرتنا الأخرى..

قالت لي وهي تتامل الخصلات في النور:

- «لم أكن أعرف أن (ماريانا) تصبغ شعرها..»

قلت وأنا أنزع معطفي وأجلس:

- «إنها امرأة على كل حال..»

دست الشعيرات كيفما اتفق حول رأس الدمية، ثم تناولت دبوسًا عظيمًا، وبحنكة وتؤدة وغرسته في قلبها، وقالت:

- «الآن تتألم!»

لكنّ واحدة فقط تألمت.. تألمت وصرخت وتكورت حول نفسها وهي تعوي كمن يتم ذبحه.. هذه الواحدة هي أنا..

ألم ساحق ماحق مزّق صدري فصرخت..

يبدو أنني غبت عن الوعي بضع دقائق، لأنني صحوت لأجد نفسي ممددة على الأريكة غارقة في العرق البارد، والأم (مارشا) جاثية جواري تصب في حلقومي سائلًا ما..

وكان (مريدوها) واقفين يرمقون المشهد في فضول..

قالت وهي توسد رأسي على صدرها، الذي تفوح منه رائحة عطرية خانقة:

- «هذا يفسر اللون الأشقر للشعيرات!»
- «ماذا تعنين؟»
- «أعني أن زوجك المخلص أرسل لك شعيرات من رأسك أنت.. وحسبت أنا أن لون شعر (ماريانا) الأصلي أشقر.. لكنّ كل شيء اتضح الآن.. لقد صنعت دمية (فتيش) أخرى لك وكدت أدمرها!»
- «الوغد! كيف يجرؤ؟»
ساعدتني على الجلوس، وقالت:
- «يا بنة ليس من السهل أن تحكمي على زوجك أخلاقيًا.. فهو تحت قبضة الساحرة.. إنّه مسحور، ولا يمكن أن تلوميه على ما فعل وما لم يفعل..»
وتنهدت وأردفت وهي تشعل سيجارها العظيم:

- «إن الشيطانة أقوى وأذكى منا بمراحل.. لا بد أن (شيلدون) كان يحتفظ بخصلة من شعرك فأغرته باستعمالها، ولا بد كذلك أن أطلعها على خطابك!»

- «والحل؟»

- «يوجد حل واحد.. لكنه خطر..»

وفي الدقائق التالية شرحت لي نظريتها للخلاص..

ربما تلومني يا د. (رفعت) لكني لا أجد حلًا آخر.. لقد استطاعت المرأة العجوز أن تملأني ذعرًا، وقد تأكدت بنفسي من أنها ليست نصابة.. الألم الممض في صدري يؤكد لي أنها ليست نصابة..

لن أحكي لك ما اعتزمته في هذا الخطاب، فلربما تفشل المحاولة كلها..

وعندها لن أجني منك سوى التوبيخ.
بإخلاص: لندا شيلدون

* * *

نيويورك في ١٣ مايو:
عزيزي (رفعت):
اليوم هو الجمعة ١٣.. وهو يوم يذكرك ـ دون شك ـ بأجواء معينة لا تغيب عن ذكائك.. لقد علمتني (ماريانا) أن أظل في غرفة الفندق لا أبرحها حتى يمرّ اليوم على خير..
إنها لفتاة ساحرة حقًّا!
تعرف شيئًا عن كل شيء، ونصائحها لا تخيب أبدًا..

إن (لندا) لا تثق بها لحظة، لكني أعرف الأسباب.. من الصعب أن تثق امرأة بامرأة أجمل منها وأكثر سحرًا وتأثيرًا..

لقد اعتدت أن أزورها ليلًا.. حيث أجلس معها في صومعتها الساحرة أصغي لموسيقا (الكاريبي) الصاخبة الغامضة، وأربَت على ظهر قطها الإيراني الجميل.. لقد بدأت أنا نفسي أتحول إلى قط ناعس جوارها.. ثم نتسلى بتأمل البللورة السحرية إياها، فأتمكن من معرفة ما تقوم به (لندا) وما تقوم به أنت في هذه الأثناء.. (تأكيدا لكلامي أنت قضيت يوم الجمعة 13 في الطهي، بعد ما أديت صلاتكم في المسجد).

أمس قامت (ماريانا) بأهم خطوة في القصة كلها: ألقت دمية الأم (مارشا) في

النار.. وهكذا ماتت العجوز الشمطاء واسترحنا منها..

أتوقع خطابًا من (لندا) في أية لحظة تبلغني بهذه التطورات.. إن الاتصال بالهاتف أسهل وأسرع، لكنّ - صدقني - لم أعد أريد أن أسمع صوت (لندا).. ويبدو أن فكرة الطلاق لم تعد مستبعدة إلى هذا الحد..

أراك تفتح فمك لتعترض..

نحن معشر الأمريكيين عمليون جدًّا يا طبيبي العزيز، ولا شيء يغرينا باستمرار علاقة لا طائل من ورائها لمجرد أن الطلاق عسير أو قاس...

إن البدايات الجديدة حق متاح للجميع.. ولا تنس أن البدايات الجديدة لمجموعة من

المهاجرين هي التي خلقت (الولايات المتحدة)..

لا.. لن أتزوج (ماريانا)..

ما من رجل بكامل قواه العقليّة لا يفكر في الزواج من (ماريانا)؛ لكنّها تأبى ذلك بشدة.. إنها تستمد قواها من عدم زواجها كما قلت لك آنفًا.. إنها تنصحني ببداية جديدة مع واحدة أخرى غيرها وغير (لندا) بالطبع..

رباه! كم هي ساحرة!

تأمل جلستها الأنيقة على الوسادة حين تحضر لي طبقًا من الكافيار الغريب لذيذ المذاق، تأكله معي بملعقة غريبة فضية طويلة جدًا، ثم تقدم لي كأسًا من الشراب

الأزرق الذي لا يعلم سوى الله مايحتويه كي يمنحني كل هذا السرور والانتشاء..

بعد هذا نتسلى بقراءة خطابات (لندا) وخطاباتك إليّ.. لم لا؟ ليست لدى أسرار أخفيها عن (ماريانا) منقذتي..

لكم ضحكت (ماريانا) حين قرأت خطابًا لـ (لندا) تطلب فيه شعيرات من رأس الأولى.. لماذا بحق السماء؟ إن الأم (مارشا) تلعب لعبتها وتستحوذ على (لندا) بالكامل..

نصحتنى (ماريانا) بأن أرسل أى شعر للأم (مارشا).. إن الدعابة ستكون أقوى لو كانت شعيرات من (لندا) نفسها.. ثم طمأنتني أنّ هذا لن يؤذي (لندا) أبدًا ما

دامت الدمية التي ستصنعها (مارشا) أقرب إلى (ماريانا) نفسها..

- «ما دامت ساحرة عبقرية حقًّا، فمن المفترض ألا يخدعها هذا!»

قالتها في خبث، وراق لي الأمر كثيرًا ونفذته.. إنني أحمل في حافظتي خصلة من شعر (لندا) جلبًا للحظ أيام كانت قادرة على تغيير حظي..

نسيت أن أحكي قصة أخرى مثيرة..

لقد وجدت عند (ماريانا) منذ يومين قطًا أسود هائل الحجم، ينعس جوار قطها الإيراني.. فلمّا رآني فتح عينيه الصفراوين عن آخرهما وراح يرمقني بتلك النظرة البليغة التي تجيدها القطط، مع أسلوب (المواء الصامت) الذي يمزق نياط القلوب؛

حين يفتح القط فمه ويرتجف فيه السفلى في مواء لا يُمكنك سماعه..

قالت له (ماريانا) في فظاظة:

- «اخرس يا (داماسو)!»

سألتها عنه وكيف وجدته، فقالت في غموض وهي تداعب عنقه:

- «جاء كي يعضني لكني جعلته ملكي..»

ثم نهضت إلى خزانة في الجدار، وعادت حاملة آلة تصوير فورية صغيرة ناولتني إياها، وطلبت أن ألتقط صورة لهما معًا..

سألتها في غباء وأنا أكشف العدسة:

- «هل تحبين القط إلى هذا الحد؟»

- «بل الأم (مارشا) تحبه أكثر مني!»

وطوقته بساعديها وضمته إلى صدرها، بينما التمع الفلاش وهي تضحك ضحكة انتصار شرسة لم أفهم مغزاها..

وفهمت أنها سترسل الصورة إلى الأم (مارشا)..

ما هو السبب في رأيك؟

اكتب لي يا (رفعت) ولا تبخل بالخطابات..

بإخلاص: هاري شيلدون

* * *

تلهاسي في ١٣ مايو:
عزيزي د. (رفعت):
كنت أنوي - ما دمت فشلت ـ أن أكتم عنك الأمر.. لكني أكاد أجن رعبًا وغيظًا...
أنت تذكر أنني قررت أن أعمل بنصيحة الأم (مارشا).. والنصيحة هي أن أقتل (ماريانا) بالأساليب التقليدية! نعم أنا مجنونة لكني لم أعد أدري ما هو صواب وما هو خطأ.. لقد جاء عصر الغاب ولم يعد شيء قادرًا على حمايتي سوى ذراعى أنا..
المُحت لي الأم (مارشا) أن عملاقها الزنجي (داماسو) - الذي يحرسني في أثناء



وطوقته بساعديها وضمته إلى صدرها ، بينما التمع الفلاش
وهى تضحك ضحكة انتصار شرسة لم أفهم مغزاها . .

مغادرة دارها - يمكن أن يقوم بالمهمة.. إنّه قاتل أجير (Hit man) على قدر لا بأس به من الكفاءة..

فقط على أن أحضر له العنوان وتذكرة سفر من وإلى (نيويورك) مع ألفي دولار أدفع نصفها قبل العملية والباقي بعدها..

وكان التفاهم تامًا، ولعبت الأم (مارشا) دور الوسيط مما جعل العملاق يثق بي ويتكلم بصراحة.. سيزور (ماريانا) في شقتها طالبًا استشارة، وهو من (الكاريبي) ولن يثير ريبتها.. عندها ينتهز الفرصة كي يهشم رأسها ثم يعود بالطائرة، بعد ما يلتقط صورة فورية لجثتها بكاميرا صغيرة اشتريتها له كدليل على ما أنجز..

حسن.. لقد تم الاتفاق في ٦ مايو بعد كتابتي خطابي الأخير لك.. لكنّ (داماسو) سافر من حينها ولم يعد قط..

سألت الأم (مارشا) عنه.. أتراه بدد المال، وراح يلهو في (نيويورك) ناسيًا كل شيء عن مهمته؟

قالت لي في غموض:

- «واحد آخر يلعق الغبار!»

الحق أنني لا أفهم شيئًا.. هل العجوز تخدعني؟ لا ألومها لو تفعل، فأنا ساذجة خائفة أغري الجميع بالتلاعب بي، ومن الحمق ألا يخدعني من يلقاني..

هذا هو كل شيء.. ولا جديد سوى أن الخدوش في جسدي مستمرة، و(هاري) لا يتصل بي ولا يرسل خطابات..

ترى ما رأيك في هذا يا د. (رفعت)؟
بإخلاص: لندا شيلدون

* * *

القاهرة في ٢٠ مايو:
هاري شيلدون:
اسمح لي أن أناديك دون ألقاب نفاق على غرار (عزيزي) أو (صديقي).. فأنا مكتف بشرف أن يكون صديقي ملك الحمقى في العالم...
ألا تفهم ذلك الشرك الذي تخطو نحوه في ثقة؟
تحولت إلى قط ناعس - حسب كلامك حرفيًا- يستمتع بالنوم عند قدمي (ماريانا)

هذه بأظفارهما الزرقاء.. وتأكل الكافيار معها بملعقة طويلة.. ألا يذكرك هذا بكلمات الأم (مارشا): «إذا تناولت طعامك مع الشيطان.....»؟ راجع خطابك لي في ١٠ مارس لو كنت تحتفظ بنسخة من خطاباتك..

ثم ترسل للأم (مارشا) بخصلات من شعر زوجتك لتستعمله في السحر!

وهذا ليس كل شيء... موضوع القط الأسود والكاميرا الفورية.. ثمّة أشياء عرفتها من خطاب آخر وصلني، وتؤكد لي أنّ هذا القط الأسود ليس قطًا تمامًا! ثمّة شخص يُدعى (داماسو) قد زار (ماريانا) بغرض إيذائها.. هل صارت القصة

واضحة أكثر؟ وكان يحمل كاميرا فورية صغيرة.. هل فهمت؟

بعد هذا تؤكد لي أن (ماريانا) تعلم الغيب.. والدليل هو أنني صليت الجمعة ثم رجعت أطهو طعامي! يا للذكاء! كل مصري مسلم غير متزوج يفعل الشيء ذاته في يوم الجمعة، وأنت تعرف جيدًا أنني أطهو طعام الأسبوع مرة واحدة في يوم العطلة ـ الذي هو يوم الجمعة في (مصر) - سبع كريات من الخضر.. وسبع كريات من الأرز.. وسبع شرائح من اللحم كلها ملفوفة في رقائق الألومنيوم، وفي الغالب أتخلص منها جميعًا لأنني أكتشف أن مذاقها كمذاق الحذاء..

أما عن موضوع حرق الدمية فلا تطمئن كثيرًا.. الأم (مارشا) حية ترزق ولم يمسسها ضرر..

(هاري).. أنت مجنون أحمق..

لقد حان وقت إنهاء هذه المهزلة والعودة إلى دارك..

كف عن الكلام عن الطلاق وكل هراء مماثل.. فقط سأذكر لك جزءًا من آية من آيات القرآن الكريم تلخص الموقف بدقة:

بسم الله الرحمن الرحيم

{... ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون

منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله...}

صدق الله العظيم

سورة البقرة - الآية ١٠٢

المخلص: رفعت إسماعيل

* * *

تلهاسي في ٢٠ مايو:

عزيزي د. (رفعت):

لقد شرحت لي الأم (مارشا) كل شيء.. والحقيقة مرعبة أكثر مما تتصور!

* * *

- ١٠ -

(مازلنا مع خطاب لندا).....

لقد ذكرت لي الأم (مارشا) خبرين:

الأول: هو أن (داماسو) لن يعود.. لقد ظفرت به (ماريانا) وها هو ذا (واحد آخر يلعق التراب) كما قالت الأم (مارشا)..

لقد وصلتها بالبريد صورة لا بأس بها تمثل (ماريانا) مع قط أسود ذي عينين صفراوين.. ولم تحتج إلى ذكاء كثير كي تعرف القط.. يبدو أنٍ ساحرة (الكاريبي) الشابة تعرف عملها حقًّا..

الثاني: هو أن ٣٠ مايو القادم هو عيد من أعياد (الفودو)، يمارس فيه السحرة الودونيون كثيرًا من طقوسهم المرحة:

إعادة (الزومبي).. حرق الذمي المنسية.. إلخ...

تقول لي الأم (مارشا):

- «لقد دنا عيد السحر.. و(ماريانا) تنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر.. وهذا هو ما كانت تخطط له منذ فترة طويلة..»

سألتها حائرة متوترة:

- «وما هي اللحظة؟»

- «لحظة الخلاص من زوجك!»

حسن.. أنت تعرف يا د. (رفعت) أنّ هناك حدودًا لقدرة المرء على كتمان فضوله.. هذه الساحرة العجوز تطالبني بألا أسالها عن سبب الخلاص من زوجي وكيفيته، وإلا اعتبرتني فضولية بشكل غير

لائق... أنّ هذا ـ كما توافقني - يفوق قدرتي على التحمل..

لهذا ألحفت في سؤالها..

أخيرًا تكلمت العجوز، وكان ما قالته رهيبًا:

ـ «إن (ماريانا) في السبعين من عمرها!»

وتذكرت ملامح الساحرة الشابة الفاتنة، وبدا لي كل هذا سخفًا.. فلا يوجد سحر بهذه القوة أبدًا..

قالت (مارشا) وقد لمحت عدم التصديق في عيني:

ـ «إن (ماريانا) تنتمي إلى ما يسمّونه بـ(الآما).. أي أنها أنثى دائمة الشباب تستمد شبابها من دماء الرجال.. و(هاري)

زوجك يصلح بالطبع.. لكنّ هناك شروطًا لعملية كهذه: عليها أن تقنعه بأن يقتل امرأة يحبّها، وعليه أن يعطي (ماريانا) قطرات من دمه بكامل رضاه، ثم عليه أن يرقد في وسط الدائرة ويسمح لها بأن تنتزع قلبه، والشرط الأخير هو أن يتم هذا يوم عيد السحر أي بعد عشرة أيام**!**»

سألتها وأنا أعيد ترديد الكلمات ببطء كي أستوعبها:

- «يقتل امرأة يحبّها**!** أي يقتلها هي؟**!**»

- «بل يقتلك أنت يا بنة**!** إن (هاري) ما زال يحبك للأسف..»

- «يقت.. يقتلني كـ.. كيف؟»

- «ليس الأمر عسيرًا.. إن دمية (الفتيش) مع (ماريانا) منذ البداية، وكل ما عليها هو

إقناعه بإلقائها في النار، وهذا ليس صعبًا ما دامت أقنعته باستعمال شعرات من رأسك في دمية أخرى..»

- «وقطرات الدم أعطاها بالفعل..»
- «بكامل رضاه! لا تنسى هذا..»
- «إذن موضوع الـ.. الدائرة هـ.. هذا..»

وهنا فاض بي وانفجرت في البكاء.. البكاء صمام الأمان كي لا تنفجر المرأة تحت وطأة مخاوفها وأحزانها..

قالت الأم (مارشا) وهي تكفكف عبراتي بمنديل متسخ:

- «هذا هو ما ستقوم به (ماريانا) في ٣٠ مايو.. لقد فعلته كثيرًا جدًا من قبل.. ثم هناك موضوع ازواجها السابقين.....»

وصمتت برهة ثم أردفت:

- «إن القطط المحيطة بها لها وجوه معبرة أكثر من اللازم.. ويبدو أنها تتركهم يدربون مخالبهم على دميتك ليلًا..»

وثبت جالسة عند قدميها كما يفعلون في المسرح التراجيدي، وصحت بصوت لا بد أنه خرج متهدجًا:

- «وما الحل أيتها الأم؟»

- «الحل هو أن نلحق بهم في (نيويورك)، ونحاول إيقاف هذه المهزلة.. إن لدى أساليبي.. لكني أنصحك يا ابنة ألا تتركي ابنك وحده هنا.. فمن يدري؟»

- «سأتركه عند خالة له في (بنزاكولا)..»

- «أقول لك: من يدري؟»

قالتها في غموض.. وأنا أعرف الأم (مارشا) حين تتحدّث في غموض وترفض أن تفصح.. إنها تعرف أكثر من اللازم..

وهكذا قررت أن أتحرك.. لا يوجد مفر من التمادي حتى آخر الشوط.. ثلاث تذاكر طائرة إلى (نيويورك)، وغرفة في ذات الفندق الذي كنت أقيم فيه مع (هاري)..

سيمتقع وجهه حين يراني ليغدو بلون هذه الورقة.. سيتهمني بالخبال وتبديد المال.. لكني لا أبالي.. لقد صرت العقل المفكر لهذه الأسرة.

بإخلاص: لندا شيلدون

* * *

نيويورك في ٢٥ مايو:
عزيزي (رفعت):
لن تتصور أبدًا هذه المفاجأة: لقد عادت (لندا) مع (جيمي) إلى (نيويورك)**!** كنت لم أترك الغرفة المزدوجة التي استأجرتها في الفندق، وفوجئت بهما ينتظراني في قاعة الاستقبال.. شاحبي الوجهين مرتبكين كطفلين ينتظران العقاب..
لم أقل شيئًا.. فقط صعدت معهما إلى الغرفة، وهناك انفجرت في (لندا) كما لك أن تتوقع.. إنها تبالغ في الخوف وتبالغ في الخبال.. كل شيء يسير على ما يرام هنا، فما الداعي لتبديد مالي في تذاكر السفر؟ ثم من أدراها أنني ما زلت في الفندق ذاته؟

يبدو أنها أجرت مكالمة طويلة المسافة من (فلوريدا) لتتأكد من ذلك..

قالت كلامًا كثيرًا عن (ماريانا) التي تتلاعب بنا.. وعن خطتها لاستعادة شبابها عن طريق قتلي.. وعن خصلات الشعر التي كادت تقتل (لندا).. وعن الأم (مارشا) التي ما زالت حية ترزق..

بالواقع قالت لي نفس الكلام الذي قلته أنت في خطابك المؤرخ بتاريخ ١٦ إبريل.. حتى إنني أسائل نفسي عما إذا كنتما تتبادلان الأفكار..

والمشكلة هنا هي أن (لندا) مسحورة وأنا لا أصدق حرفًا مما تقول.. ما هو الدليل على أن الأم (مارشا) حية سوى كلامها؟ (لندا) تؤكد أن دمية (الفتيش) عند

(ماريانا) التي تتسلى بتركها للقطط، وأنا أؤكد أن الدمية عند الأم (مارشا) التي تسعى لجعل (لندا) تحب (جابرييل) المتيم بها.. كلمتي أمام كلمتها..

لا دليل يؤيد كلام أي منا سوى إصراره على أنه محق..

تسألني لماذا لا أعود إلى (فلوريدا)؟

لأن (لندا) لم تشف بعد من السحر حتى بعد وفاة صاحبته.. لقد رأيت المشهد مرارًا في بلورة (ماريانا) السحرية؛ أنا أقف أمام مرآة الحلاقة بفائلتي الداخلية وذقني مغطاة بالصابون.. بينما حسناء شقراء تقف ورائي وسكين المطبخ مخبأة وراء ظهرها.. حسناء شقراء مثل (لندا).. بل

هي (لندا) ذاتها.. والباقي معروف لكل ذي خيال!

(ماريانا) قالت لي إن هناك حلًا واحدًا لتطهير (لندا).. هذا الحل هو أن أنتظر حتى عيد السحر في ٣٠ مايو، وهو عيد مهم لدى السحرة الودونيين.. وفي هذا اليوم تصير (لندا) زوجتي من جديد، ونعود إلى (فلوريدا)..

(ماريانا) سألتني عن شجاعتي، وقالت:

- «هل أنت مستعد للتخلص من الدمية يوم أستعيدها لك؟»

- «لكنّ هذا يؤذي (لندا).. أليس كذلك؟»

- «ليس حين أطلب منك ذلك.. فقط ثق بي ولا تسأل.. وعندما آمرك بالنوم وسط دائرة الرماد المحترق ثق بي ولا تسأل..»

تغمرني الحيرة.. لكنني أثق بها.. أثق بها ولهذا لا أسأل.....

ولهذا أماطل (لندا) في الرحيل، وأصغي لما تقول من هراء وأتظاهر بأنني أهتم.. إنني العقل المفكر لهذه الأسرة ولن أنسى هذا..

أنتظر منك خطابات لا تلومني فيها أيها الكهل الأصلع.

بإخلاص: هاري شيلدون

❋ ❋ ❋

نيويورك في ٢٦ مايو:

عزيزي د. (رفعت):

أنا الآن في (نيويورك) مع (جيمي).. لقد التأم شمل الأسرة من جديد، لكنّ أي التئام! ثلاثة مخلوقات يشعر كل منهم بأن الاثنين الآخرين ساذجان غبيان أخرقان..

الأم (مارشا) طلبت إلغاء حجز الغرفة التي اخترتها لها هنا.. قالت لي في سيارة الأجرة التي أقلتنا من المطار:

ـ «يا بنة أنا لست مستعدة لهذه الأماكن الفاخرة.. إن لي اماكن تريحني، ومعارف يهمهم أمري كلهم من قومى.. إن الأم (مارشا) تحتاج إلى مكان مظلم يعبق برائحة البخور وأغاني (الكاريبي).. لهذا نفترق..»

وحددت للسائق عنوانًا معينًا أعتقد أنه من أحياء (نيويورك) الرهيبة.. وقد أسعدني ـ

برغم كل شيء - الخلاص من هذه الساحرة بشكلها الغريب وثيابها الزاهية وعطرها المزعج، والفضول التي تثيره لدى كل من يراها..

سألتها عن كيفيّة لقائها، فقالت في غموض:

- «أنا التي سألقاك حين تحتاجين إلى..»

وغادرت سيارة الأجرة، وطلبت من السائق أن يوصلني و(جيمي) إلى الفندق.. كان (جيمي) مذعورًا منها طيلة رحلة الطائرة، وقد سرّه أن يتخلص منها.. وبلهجته الطفولية قال:

- «ماما! أنا أحب الساحرة الأخرى.. الجميلة!»

- «ليس جمال القلب مرتبطًا بجمال الوجه دائمًا يا بني..»

وفي الفندق قابلنا (هاري)..

حقا لم يلقنا بحرارة، ولم يتحمس.. بل إنّه انفجر غاضبًا في، لكني لم أخبره ـ وكذا (جيمي) - بأمر الأم (مارشا).. فلو عرف أنها في (نيويورك) لأصابه الجنون، ولربما اتخذت الأخرى إجراء ما..

لقد قاوم بعناد شديد كل محاولاتي لإقناعه بالعودة إلى (فلوريدا).. كنت أبغى أن نعود في أول طائرة، لكنه مصر على الإنتظار أسبوعًا آخر..

د. (رفعت)! إنّه ينتظر ٣٠ مايو في شوق!

إن الأمر يفلت من قبضتي، ومن الواضح أنني سأحاول قتل (ماريانا) هذه التي جعلت حياتي جحيمًا..

حين يصلك هذا الخطاب سيكون ٣٠ مايو قد انتهى، ومعه انتهت آلامي بالموت أو القتل أو الفرار.

لا أدري.. الله وحده يعلم ما سيحدث في ذلك اليوم.

بإخلاص: لندا شيلدون

❋ ❋ ❋

القاهرة في ٣ يونيو:

(هاري) و(لندا):

أتوسل إليكما أن تكفا عن هذا السخف، وتعودا إلى (فلوريدا)، وإلى حياتكما الطبيعية..

إنني موشك على السيطرة على ظروفي، ويمكن أن ألحق بكما في الولايات في النصف الأول من (يوليو)..

فقط ابقيا سالمين من أجلسي.. أبقيا عاقلين من أجلي.

المخلص: رفعت إسماعيل

❋ ❋ ❋

القاهرة في ١٠ يونيو:

(هاري) و(لندا):

لم أتلق أي خطاب منكما منذ ٢٦ مايو، ولم أعرف ما تم في عيد السحر هذا.. أرسلا لي خطابًا من سطرين يقول إنكما بخير...

إن عدم وجود أخبار هو خبر طيب No news , good news.. أي لا توجد أخبار سيئة على الأقل.. لكنّ الأمر يختلف ها هنا..

إن هلاك هذه الأسرة يمكن أن يتم في صمت مريب، وعدم وجود أخبار قد يعني كارثة..

المخلص: رفعت إسماعيل

❋ ❋ ❋

- ١١ -

تلهاسي في ٣١ مايو:
عزيزي د. (رفعت):
لا أدري متى أتمكن من إرسال هذا الخطاب.. لا بد أنك تموت قلقًا علينا لو كان فهمي لمعنى الصداقة صحيحًا، فقد تبلبلت مفاهيم كثيرة لديَّ في الآونة الأخيرة.....

لقد جاء يوم ٣٠ مايو الرهيب أخيرًا..

لم نتبادل أنا و(هاري) أية كلمات طيلة اليوم.. كان الجو مشحونًا بتلك الكهرباء القلقة التي تجعل أمعاءك تتقلص، ويبدو أنني أصبت بإسهال حاد جعلني أدخل الحمام مرارًا..

وفي المساء قال (هاري): إنّه ذاهب ليلقى (ماريانا) وحده.. توسلت إليه ألا يفعل لكنه كان مصرًّا.. مصرا إلى درجة أن توسلاتي كلها ودموعي راحت هباء...

- «سأذهب معك أردت أو لم ترد..»

هنا دفعني بغلظة، وخرج من الغرفة.. وسمعت مفتاح الباب يدور في القفل.. لقد حبسني مع (جيمي).. هل أصرخ وأقرع الباب حتى يأتي أحد الخدم ليخرجني؟ أم أطلب الشرطة؟ أم.....؟

لكن المشكلة قد حلت بسهولة لا تصدق، إذ سمعت قرعات على الباب، وصوتا كغطاء التابوت إذ ينغلق يقول:

- «هذه أنا يا بنة.. لقد جئت في الوقت المناسب..»

عاد الدم إلى عروقي فصرخت وأنا ألقي بنفسي على الباب:

- «إنّه موصد يا أم (مارشا).. موصد!»

- «ليس مع ساحرة (فودو).. الأبواب الموصدة وهم!»

وانفتح الباب كأنما لم يكن موصدًا من البداية...

وجه العجوز الزنجي الدميم، وجسدها المنحني غصن ذابل، والقرطان العملاقان في أذنيها، والأظفار المخلبية..

لكنني - تفهم ما أقول - رأيتها ملكة جمال العالم لحظتها..

صحت وانا ألقي نفسي على صدرها:

- «قد ذهب للقاء الأخرى.. إنها اللحظة المختارة!»

في ثقة قالت وهي ترفع كفها لتخرسني:

- «كفي! اعلم.. سنلحق به حالًا..»

ومتوكئة على عكازها راحت تشق طريقها عبر ممر الفندق، ورحت أقفو أثرها مذعورة متعثرة أجر يد (جيمي) الذي لا يفهم كل هذا..

- «ماما! إلى أين؟»

- «سنلحق بأبيك يا حبيبي..»

- «لا ليس بابا.. لقد صار يخيفني..»

- «إنه يحبك يا بني.. يحبك.. لكنّ أعصابه منهارة..»



وانفتح الباب كأنما لم يكن موصداً من البداية ..
وجه العجوز الزنجى الدميم ، وجسدها المنحنى ..

غريبًا جدًّا منظر ساحرة (الفودو) العجوز التي اعتادت الأكواخ والأدغال وهي تشق طريقها وسط الفندق النيويوركي الأنيق.. لكني خمنت أن سحرًا ما قد شلّ عقل العاملين، فلم يستوقفها أحد للسؤال أو حتى الفضول..

وفي الخارج كانت سيارة عتيقة الطراز تنتظر.. ورأيت بداخلها شابين من بلطجية (الكاريبي) إياهم.. لكني كنت أثق بالعجوز.. لهذا لم أتردد في الركوب.. كانت لفافتا تبغ تلتمعان في ظلام السيارة..

قالت الأم (مارشا) وقد جلست في المقعد الخلفي جواري، وهي تلهث من جراء مجهود المشي الحثيث:

- «تبًا! إنني أقضي حياتي جالسة على أريكة فلم أعتد كل هذا الجهد.. والآن يا بنة نحن ذاهبون إلى (ماريانا)..»

ثم أشارت إلى الوغدين في مقدمة السيارة وقالت:

- «هذان من أبنائي.. كل فتية (الأنتيل) أبناء الأم (مارشا).. هي هي هي!»

احتضنت (جيمي) أكثر وسألتها:

- «إذن تنوين استخدام القوة لا السحر؟»

- «هي هي! هناك شيء من كل شيء.. بالقوة نواجه القوة وبالسحر نواجه السحر..»

- «وهل لا بد من أخذ الطفل معنا؟»

- «تلك أضمن وسيلة لحمايته.. فلن يكون آمنًا حتى في مخفر الشرطة.. أمانه هو

معي أنا الأم (مارشا)..»
وراحت السيارة تشق شوارع (نيويورك).. كانت في أسوأ حال ممكن حتى شعرت بأنها توشك على التفكك إلى أشلاء في أية لحظة..
أخيرا وصلنا إلى البناية التي تقيم فيها (ماريانا) في (بارك أفينيو)..
استدارت الساحرة العجوز لتتأكد أنه ما من أحد يتبعنا، ثم انحنت في الظلام تقول لرجليها:
- «تعاليا معي.. إن سلاحيكما معكما.. أليس كذلك؟»
مع بلطجيين كهذين تغدو الأسلحة التقليدية رفيًا مبالغًا فيه.. كان أحدهما يحمل قبضة نحاسية، والآخر يلف قبضته حول حلقة

تبرز منها أشواك مدببة، ومن الواضح أنهما يحملان مديتين زنبركيتين في جيب كل منهما واحدة.. حسن.. إننا أقوياء بما يكفي..

ترجلنا إلى المدخل.. ولا شيء في الظلام ولا صوت سوى صوت الأحذية وعكاز الأم (مارشا) بدقاته المصممة المصرة على التقدم..

ثم صوت أنفاسنا المتوترة..

المصعد يهبط.. الباب ينغلق على أكثر المجموعات شذوذًا في تاريخ هذا المصعد: بلطجيان وساحرة (فودو) وامرأة مذعورة وطفل..

المصعد يرتفع إلى الطابق المنشود..

وقفنا أمام الباب.. رفع أحد الرجلين يده ليقرع الجرس لكنّ الأم (مارشا أشارت له بمخالبها كي لا يفعل).. نظرت إلى القفل ثانية واحدة.. و.. كليك**!** الباب ينفتح تلقائيًا..

ابتسمت في ثقة.. ومن فرجة البابا شممنا رائحة البخور كأقوى ما يكون، وسمعنا موسيقا (الزولو) إياها كأعلى ما يكون.. ثمّة شيء في كل هذا يذكرني بمشاهد الذروة (الكليماكس) في الأفلام السينمائية.. أيًا ما كان ما يحدث بالداخل فهو لن يطول كثيرًا..

وها نحن أولاء نقف في قاعة الاستقبال ترمقنا لوحات (أندي وارهول)، لكنّ لا سكرتيرة شقراء..

الباب، الذي يقود إلى صومعة (ماريانا) مفتوح، ينبعث منه ضوء أحمر شيطاني، والبخور يخرج من الغرفة في جشع..

في حذر دنونا من الباب واسترقنا النظر..

لقد تحولت الغرفة الواسعة الأنيقة إلى مكان غريب هياكل عظمية على الجدران في كل صوب.. نسار مشتعلة في وسط المكان حيث كانت النافورة الصناعية.. نجوم خماسية مرسومة على الأرض، ودائرة طبشورية أمام النيران..

الموسيقا عالية جدًا، فهذا المكان مصدرها إذن..

ووسط الدائرة كانت (ماريانا) واقفة.. وأدركت من الوهلة الأولى أنّ هذه حقيقتها

التي كانت تخفيها وراء مظهر الفتاة الرقيقة الغامضة..

كانت ترتدي أسمالًا وقد لطخت وجهها بصبغة حمراء - أم هي دماء؟ - وشعرها ثائر كالبراكين، وتتلوى كالأفاعي مع الموسيقا..

وكانت تمسك بخنجر طويل مخيف الشكل في يدها اليسرى..

استغرق هذا الكشف البصري ثلاث ثوان هي التي استغرقناها حتى دخلنا الحجرة.. وفي الثانية الرابعة رأيت (هاري) جالسًا على الأرض القرفصاء على بعد مترين من الدائرة، ومن اللحظة الأولى عرفت أنه ليس في وعيه.. ثمّة مخدر ما يؤدي عمله على خلايا عقله الآن..

شعرت (ماريانا) بنا فاستدارت ببطء.. كانت عيناها حمراوين بلون الدم.. عرفت هذا برغم الضوء الأحمر..

* * *

صرخ (جيمي) ودارى وجهه الصغير في بطني.. (ويقولون إن صغار اليوم يستحيل إفزاعهم).. يبدو أن (جيمي) قد رأى ما فاق الحدود..

- «ماما! أنا خائف ف ف! فلنعد للبيت!»

اعتصرت وجهه في حزم، ورفعت رأسي لأرى ما يحدث..

بصوت كالفحيح قالت (ماريانا):

- «الأم (مارشا)! لقد انتظرتك طويلًا!»

واصلت (مارشا) تقدمها الحثيث إلى مركز الغرفة، وقالت:

- «(ماريانا)! إن حسنك يزداد.. ومن العسير أن يصدّق المرء أنك في سني!»

الساحرتان تتبادلان النظرات في الضوء الأحمر الكابوسي..

قالت (ماريانا) بصوتها الثعبانى المرعب:

- «أنت بارعة حقًّا أيتها الأم.. إنني لم ألتق بك وجهًا لوجه قط..»

- «وأنت قوية.. لقد خدعتني مرارًا وحرمتني من حارس مخلص كنت اعتبره إبنًا لي..»

- «هل أحضرت الدمية؟!»

مدت الأم (مارشا) يدها في ثنيات ثيابها، وأخرجت دمية..

دمية الـ (فتيش) المصنوعة لي!

* * *

صرخت وأنا أتراجع للوراء:

- «الأم (مارشا)! لقد كانت الدمية معك منذ البداية! إذن كانت (ماريانا) بريئة طيلة الوقت!!»

ضحكة زنجية طويلة رفيعة أطلقتها الأم (مارشا)، وقالت:

- «يا ابنة ليس الصدق من صفات السحرة.. إنهم ملعونون في كل الأديان.. لهذا لا تثقي بهم أبدًا..»

ثم استندت إلى عصاها، ووضعت يدها على ظهرها متألمة:

- «منذ البداية كنت أصبو لهذه التعويذة التي تعيد الشباب.. كنت بحاجة إلى دمية (فتيش) لامرأة.. وقطرات من دم رجل تحبه هذه المرأة..»

أضافت (ماريانا) في عذوبة:

- «يمنحها بكامل إرادته!»

- «... يمنحها بكامل إرادته.. ثم يأتي الجزء المعقد الذي كنت أجهله، والذي تعرفه (ماريانا) جيدًا لأن سحرة (بورت ريكو) أكثر براعة منا.. كان الوقت ضيقًا.. وزوجك ـ ذلك الأحمق - واقع تمامًا في براثن (ماريانا)، لذا فكرت في قتلها أو انتزاع السر منها.. لكنّ لا جدوى..»

وتأوهت في حسرة، وأردفت:

- «الشباب! إنني أتحول إلى مومياء يومًا بعد يوم.. بينما هذه الشيطانة تصغر وتزداد سحرًا.. كان لدى (ماريانا) كل شيء تحتاج إليه كي تستعيد شبابها في عيد السحر.. كل شيء ما عدا دمية الـ (فتيش) الخاصّة بك.. كانت في مأزق والوقت ضيق لا يسمح لها بأن تبدأ من جديد مع زوجين آخرين.. وكنت في مأزق لأن الوقت ضيق لا يسمح لي باكتشاف التعاويذ الناقصة..»

قالت (ماريانا) وهي تداعب شعر (هاري) المستسلم تمامًا:

- «وهكذا اتفقنا على التعاون معًا.. سنظفر معًا بالشباب.. لقد راحت كل منا تحارب الأخرى، وحكت لكل منكما أكاذيب كثيرة وحكايات معقدة جدًا.. كان كل هذا

مضيعة للوقت.. في النهاية اتصلت بي الأم (مارشا) عارضة التعاون.. ستحضر لي الدمية والزوجة والطفل يوم ٣٠ مايو.. وأنا أستكمل التعويذة.. لم يكن أمامي سوى القبول.. فلو لم تتم التعويذة اليوم سأشيخ في غضون أيام لأغدو مثلها أو أسوأ منها..»

كنت أتماسك كي لا يغشي علي..

نظرت للباب فوجدت الوغدين يسدانه، وقد بدا عليهما الاستمتاع بالأمر.. لا سبيل للهروب إذن..

صحت وأنا أعتصر (جيمي) بين ذراعي:

- «ولكن ما ذنبنا في هذا؟»

قالت (ماريانا) وهي تداعب ذقنها بطرف الخنجر:

- «يا حبيبتي.. التعويذة تحتاج إلى دماء أسرة يحبّ أفراد بعضها البعض**!** ليس دم الأب ولا الأم فحسب.. بل الجميع**!!**»

ثم نظرت إلى الساعة المعلقة على الجدار، وهتفت:

- «فلنبدأ**!**»

*** * ***

صحت في الأم (مارشا):

- «لكنك كنت خيرة.. لقد أنقذت حياتنا في (جامايكا) يومًا ما..»

هزت رأسها وأشعلت سيجارًا غليظًا، ونفثت الدخان وسعلت:

- «كح كح! كانت الظروف تختلف وقتها، ولم تكوني في معسكر الخصوم.. اليوم أنا بحاجة لإيذائك كي أسترد شبابي.. فلماذا أتردد؟ أنت تفهمين هذه الأمور جيدًا.. أنتم تذبحون الأطفال في (فيتنام) كي لا يقل دخلكم اليومي من الدولارات.. فلماذا لا أفعل أنا نفس الشيء كي أحتفظ بحيويتي؟»

- «و (جابرييل) الذي أرسلته إلى (جامايكا)؟ هل هذا كذب أيضًا؟»

- «هذا صحيح.. فالغلام ما زال مرهف الحس، وكان سيعرقل مشاريعي هاهنا.. لهذا نفيته مؤقتًا إلى أن ينتهي الأمر..»

كانت (ماريانا) قد فتحت كف (هاري) ودست الخنجر فيها، بينما هو يرمق الأفق بنظرات متصلبة خاوية..

- «إنّه غافل تمامًا.. فقد شرب ترياقي منذ دقائق..»

ثم همست في مسمعه:

- «هلمّ يا (هاري).. إن (لندا) تكرهك حقًّا.. تذكر ما رأيته في البللورة السحرية، وانهض لتدافع عن نفسك!».

بانتشاء ذاهل تأمل الخنجر.. ثم نهض..

وفي عينيه لمحت الكراهية الحقّة..

وعرفت أنني قد انتهيت...

❋ ❋ ❋

هنا - بخبرتها الرهيبة - قالت الأم (مارشا) في قلق:

- «(ماريانا).. إن عينيه تتحركان.. يبدو لي أنه ليس......»

في اللحظة التالية قام (هاري) بعملين في وقت واحد..

أولج الخنجر حتى مقبضه.. ولكن ليس في صدري، بل في صدر (ماريانا).. ثم مد يده في جيبه وانتزع مسدسًا صوبه نحو عملاقي (الكاريبي)، وصرخ في حزم:

- «لا تتحركا!!»

هنا فقط اكتملت الأحداث التي لم تكن قد اكتملت بعد..

أكملت الأم (مارشا) عبارتها التي لم تجد وقتًا كافيًا لتقطعها:

- «... ليس نائمًا.. إنّه يتظاهر بذلك!»

وفي عيني (ماريانا) الجميلتين التمعت نظرة حيرى غير مصدقة، وهتفت وهي تئن:

- «لماذا يا (هاري)؟ كنت سأحيلك إلى (زومبي) خاص بي ي ي ي!»

ثم هوت أرضًا..

وهنا فقط - كما يحدث في أفلام الرعب - رأينا حقيقة وجهها.. لقد راح يتجعد سريعًا كتفاحة ذابلة، وفي غضون دقيقة عرفنا قيمة التعويذة التي كانت تستعملها سنويًا.. لقد كانت (ماريانا) أقبح وأبشع شيء رأيناه في حياتنا.. كان لها وجه مومياء وجسد قرد ضامر..

كانت الأم (مارشا) ترمق المشهد متصلبة، دون وجل ولا خوف ولا أدني

علامة تنم عن المفاجأة.. ساحرة ملأى بالكبرياء حقًّا..

صاح (هاري) بها وهو يصوب مسدّسه:

- «هاتي هذه الدمية اللعينة! اقذفيها إليّ!»

فعلت كما أمرها، قدس الدمية في جيبه.. ووضع ذراعه على كتفي وبنظرة حادة تفقد الرجلين، وقال:

- «لو تصرف الجميع بحكمة فلن يكون هناك قتلى آخرون.. سنغادر المكان الآن.. لكنكم لن تجيئوا في إثرنا.. مفهوم؟»

قالت الأم (مارشا) وهي تتفحص جثة (ماريانا) بطرف عكازها:

- «من جديد تتصرف بحمق يا أشقر.. لو كنت مكانك لقتلتنا ونحن تحت رحمتك..»

- «لا أحب قتلك إلا مضطرًا.. فلن أنسى يوم ساعدتني وأسرتي..»

ثم صاح بي آمرًا:

- «(لندا)! انتزعي الخنجر من صدر الشيطانية.. لا نريد أن يجد رجال الشرطة دليلًا ضدي.. خذيه معك»

في تقزز فعلت ما أمر به، وقلت:

- «لكنّ هؤلاء شهود.. وبصماتك في كل صوب.. والسكرتيرة تعرف اسمك...»

- «هؤلاء لن يتكلموا.. وبصماتي أزلتها خلسة في أثناء انشغال (ماريانا) بالاستعداد للطقوس.. أما السكرتيرة فتركت العمل منذ أسبوع أو أقل.. إنها في (كاليفورنيا) الآن..»

ثم أشار للباب دون أن يبعد عينيه عن الثلاثة:

- «أوقفي سيارة أجرة وانتظريني.. إن طائرتنا ستقلع بعد ساعة.. سنعود إلى (فلوريدا)..»

رحت أركض نحو الباب مع (جيمي)..

المصعد.. باب البناية...

سيارة أجرة..

حمدا لله.. حمدًا لله!

لقد انتهى الكابوس يا د. (رفعت).. انتهى..

(ملحوظة من د. (رفعت): في الجزء الباقي من خطابها تعطي (لندا) تفسيرها لما حدث.. وقد رأيت أن أحذف هذا الجزء، لأن (هاري) سيكرر نفس الكلام.. ولكن

بشكل أفضل في خطابه الذي أنشره في الصفحة التالية).

* * *

- ١٢ -

تلهاسي في ١ يونيو:

عزيزي (رفعت):

كيف حالك أيها الكهل؟ أراهن على أنك حي ترزق ما دمت تقرأ هذه السطور..

لقد قرأت خطاب (لندا) لك في أثناء كتابته، وعن طريق اختلاس النظرات من فوق كتفها.. وهو خطاب جيد لكنه لا يفسر كل شيء..

الحق يا (رفعت) أنني كنت مفتونًا كعبد لا يمكن إعتاقه، وكنت سعيدًا بهذا التورط.. كل شيء كان يقودني إلى مذبحة لا يعلم سوى الله (سبحانه وتعالى) كيف كنت سأنجو منها...

أنا لا أعلم شيئًا عن طقوس الشباب.. لكني أعتقد أن (ماريانا) - بعد قتلنا ـ كانت ستبلل الدمية بدمنا وتحرقها.. شيء من هذا القبيل..

لقد كانت (ماريانا) بحاجة إلى دمية (فتيش) لامرأة بيضاء، وعرفت أن لدى الأم (مارشا) واحدة - هي التي سرقتها من خزانتي - بالإضافة إلى قطرات من دمي وعلاقة حب وثيقة مع زوجتي صاحبة الدمية.. هذا هو كل شيء تحتاج إليه (ماريانا).. وبدأت ألاعيبها معي كي أصير خادمها المطيع وأحضر لها أسرتي كلها عن طيب خاطر..

ثم تم الحلف الرهيب بين الساحرتين.. وكانت هذه هي الخدعة التي انطلت عليّ

وعلى (لندا)...

كنت مفتونًا لكنّ خطابك الذي أرسلته لي بتاريخ ٢٠ مايو كان هو بداية الشرخ الذي حدث في قيودي.. وببطء بدأت أتحرر وأعرف من أنا وأين أنا..

أنت أحمق يا (رفعت) وكلامك سخف.. لكنّ خطابك كان يحوي فقرة مهمّة.. تلك الآية من كتابكم المقدس.. هل تذكرها؟

لقد قرأتها في البداية دون عناية.. لكنّ كلماتها ظلت تطاردني ليلًا ونهارًا.. أعرف أنك أرسلت الترجمة الإنجليزية وأن قرانكم الكريم يعتمد على اللفظ العربي أساسًا، لكني لم أنس الآية التالية:

{ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر} و{وفيتعلمون منهما ما يفرقون به

بين المرء وزوجه}..
ثم الآية المطمئنة: {وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله}
حقًّا.. أنا وقعت في براثن ساحرة كافرة - بل ساحرتين - تحاول التفريق بيني وبين زوجتي.. لكنها لم تنجح في إيذائي إلا إذا أراد الله (سبحانه وتعالى) ذلك..
مرارا فتحت خطابك وأعدت قراءة هذه الآية الكريمة.. وصممت على أن أقاوم ما يُراد بي..
كان على أن أذهب إلى موعد (ماريانا) لأعرف.. لكني اتخذت احتياطي فابتعته مسدسًا.. أنت تعرف أن شراء مسدس في (نيويورك) أكثر سهولة من شراء علبة تبغ في (القاهرة).. وبالطبع حرصت في شقّة

(ماريانا) على ألا أشرب مزيدًا من السوائل الزرقاء.. كنت أسكبها في أصيص النباتات كلما أدارت ظهرها لي.. لكني حرصت على أن أرسم على وجهي علامات العته المذهول، حتى إذا كانت تتوقع هذا مني وجدت ما تتوقعه، وهو شيء لم يخدع ساحرة مخضرمة مثل (مارشا)...

لكن الأوان كان قد فات..

لقد ارتكبت جريمة قتل يا (رفعت)، لكني لست نادمًا على الإطلاق..

إن (ماريانا) استحقت ما حدث لها، ولو عشت الموقف ثانية لفعلت الشيء ذاته.. (لا تترك ساحرة تعيش).. هي ذكرتني بهذه الآية من سفر الخروج في التوراة..

وقد نفذت ما بها حرفيًا.. لكني ضعفت أمام الأم (مارشا) ولا بد أنك تفهم أسبابي..

لقد عادت الأم (مارشا) إلى (جامايكا).. أحيانًا يساورني القلق حين أفكر في احتمالات انتقامها.. إنها تملك قطرات من دمي، وتملك عنواني في (فلوريدا)، لكني أردد لنفسي: {وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله}.. فأشعر بالراحة والثقة..

أما عن تحقيقات الشرطة في (نيويورك) فلم تسفر عن شيء.. هناك عجوز من (بورت ريكو) وجدوها في شقتها مقتولة.. وسلاح الجريمة مختف ولا توجد بصمات.. إن هذه الأشياء تحدث.. مهاجري (الكاريبي) يهوون قتل بعضهم كما تعلم..

لقد عادت المياه تتدفق تحت الجسر، وحياتي و(لندا) تولد من جديد.. أمّا الدمية فقد دفنتها - مع الخنجر ـ في أعمق بقعة من تراب الحديقة، حيث لن يجدها إنسان إلا بعد قرون..

بانتظار خطاب منك يا أطيب وأحمق من عرفت.

بإخلاص: هاري شيلدون

* * *

الخاتمة

وكذا انتهت أسطورة الدمية..

لم أتدخل فيها إلا لمامًا وسط الخطابات المتبادلة، ولعل هذه هي ميزتها الأولى، ولا أرجو أن تكون الوحيدة.. إن القارئ العزيز يستحق مكافأة أخرى، هي أن أخرس تمامًا.. فلا أعلق على هذه القصة..

إن رأيي لن يضيف جديدًا.. بل سيلعب دور التعليق الثرثار على الأفلام، حين تحترق السيارة فيصرخ صارخ: السيارة تحترق!

(هاري) قالها يومًا ويبدو أنه كان محقًا..

* * *

في القصة القادمة نبتعد عن الرعب والساحرات ومصاصي الدماء، لنناقش ظاهرة علمية طريفة وإن كانت عسيرة على التصديق..

هل يمكن أن نجد تفسيرًا لكون فتاة حسناء مثل (نجلاء) تعاني من.....؟

لكن لا.. ليس الوقت وقت الكلام...

إن هذه قصة أخرى.

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

[تمت بحمد الله]

رقم
الإيداع:
١٦٠٦

المطبعة
العربية
الحديثة
٨ و١٠ شارع ٤٧
المنطقة الصناعية
بالعباسية

القاهرة ت:
٢٨٢٣٧٩٢ -
٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس

ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة
روايات مصرية للجيب

أسطورة الدُمية

ليست الدُّمى كلها بهيجة مسلية .. ثمة أطفال يهابونها ، وأحيانًا يكونون على حق .. هذه قصة عن دُمى (الفتيش) ، وسحرة (الفودو) ، وطقوس (الكاريبي) ، وكل هذه الأسماء التي قد لا نعرف ما هي .. كلنا ـ بالغريزة ـ نهابها .. وغالبًا ما نكون على حقّ!



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم:
أسطورة النصف الآخر



الثمن في مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

Notes

[←1]

من العسير متابعة هذه القصة دون قراءة الكتيب العشرين (حكايات التاروت) صفحة ٩٢. ويا حبذا لو قرأت كذلك الكتيب الخامس (الموتى الأحياء)..

[←2]

د. (جمال عبد الناصر) أقنعة الرعب.. المكتبة الثقافية ٤٦٦

[←3]

هذا كذب بالطبع.. فقد كتبت الخطابين في يوم واحد كما يلاحظ القارئ..